





الكنز المفقود

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ الكنز المفقود ..

واصلت سفينة الأبحاث الألمانية (چاتا) تنقيبها لليوم السادس ، بحثًا عن ذلك الكنز الأثرى المفقود ، الذى أطلق عليه العمال الألمان اسم (كنز قارون) ، فى المنطقة الواقعة بين (سفاجة) و (الغردقة) ، بعد موافقة السلطات المصرية .. وانهمكت بعثة كاملة من الأثريين ، والغطاسين المصريين فى البحث ، بعد أن عثر أحد علماء الآثار الألمان على بردية قديمة ، تشير إلى وجود الكنز فى هذا الموقع بالذات ..

وكانت السفينة مجهزة بأحدث الأجهزة والمعدات العلمية ، التى تساعدها فى أداء مهمّتها ، ومنها تلك الغوّاصة الصغيرة ، ذات الشكل التكعيبى ، التى يطلقون عليها اسم (كوماندون) ، وهى تبدو ، لمن يراها من مسافة بعيدة ، أشبه بلغم بحرى ضخم ، على الرغم من أنها قد صُمّمت لاستيعاب خمسة عشر رجلًا ، وتم تزويدها بأذرع حديدية خاصة ، يمكنها القيام بعمليات الحفر فى الأعماق ، وأجهزة تصوير فائقة الحساسية ، وآلات شفط ، وغيرها ..

وفى ذلك اليوم ، أُنزلت (كوماندون) إلى البحر الأحمر ، حيث أخذت تغوص تدريجيًا فى أعماقه ، فى أحد المواقع الجديدة ، التى تم تقسيمها ؛ للتنقيب فيها واحدًا بعد الآخر ، بحثًا عن الكنز ..

وسبحت (كوماندون) بين الصخور ، والأعشاب المرجانية فى الأعماق ، إلى أن توقَّفت أمام كتلة صخرية ضخمة ، أحاطت بها الأعشاب البحرية ، وغطَّتها تمامًا .. وامتدَّت أذرع (كوماندون) الحديدية ؛ لتفتّت الصخور المرجانية ، وتحيلها إلى أحجار صغيرة متناثرة ، وتعلَّقت أنظار الرجال ، الذين يقفون داخلها ، خلف حاجز زجاجى خاص ، بالمجهول الذى يكمن خلفها ، حتى تفتَّتت الكتلة الصخرية تمامًا ، وكشفت عن مدخل كهف بحرى عميق ، سلَّطت عليه (كوماندون) كشَّافاتها القوية ، دون أن يوحى ما كشفه ضوءها المبهر بجديد .. فلم يكن هناك سوى بعض الشعب المرجانية ، والقواقع البحرية ، والأسماك الصغيرة ، التى دفعها الضوء للتخبُّط والهرب ..

وأمر رجل ملتح داخل (كوماندون) رجاله بارتداء ثياب الغوص ، والخروج لاستكشاف الكهف البحرى ، فأسرع أربعة

رجال ينفِّذون الأمر ، وسرعان ما غادروا الغوَّاصة الصغيرة ، سابحين نحو الكهف ، وهم يضيئون طريقهم بمصابيحهم الخاصة ، التى كشفت جوانب الكهف الزاخرة بالأعشاب والشُعب المرجانية ، التى أخذوا يسقطون أضواءهم عليها ، فى محاولة لكشف ما تخفيه خلفها .

وفجأة .. لاح لأحدهم بريق معدنى ، لجسم عكس ضوء مصباحه ، وسط الأعشاب الكثيفة ، فأشار إلى رفاقه ، الذين سبحوا نحوه ، وركَّزوا أضواء مصابيحهم الكاشفة على النقطة التى أشار إليها ، وتهلَّلت وجوههم بالفرحة والأمل ، من خلف مناظير الغوص ، وأسرع اثنان منهما يمزِّقان الأعشاب البحرية ، ويقطعانها بأسلحة خاصة ، تمكَّنا بواسطتها من إحداث فجوة وسط ستار الأعشاب ، نفذوا عَبْرها ؛ ليطالعهم عدد من الصناديق المعدنية ، مدفونة فى عمق البحر ، وقد بدت بعضها كاملة ، ولم تظهر سوى أجزاء من البعض الآخر فوق رمال العمق ..

وفتح الرجال أحد الصناديق ، وتألَّقت عيونهم ببريق يفوق بريق السبائك الذهبية ، والحُلِىّ والمجوهرات النفيسة ، التى اكتظَّ بها الصندوق ، والتقط أحدهم بعض هذه الحُلِىّ



وفتح الرجال أحد الصناديق ، وتألّقت عيونهم ببريق يفوق بريق السبائك الذهبية ..

والسبائك ، وعاد ليلوّح بها إلى الرجلين الجالسين داخل (الكوماندون) ، خلف حاجزها الزجاجىّ .. وتألّقت عينا الملتحى ، وهو يتطلّع إلى صولجان من الذهب الخالص ، وحفنة من اللآلئ فى يد الضفدع البشرى ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة جشعة ، وهو يقول فى صوت هامس منفعل :

ـــ لقد عثرنا على الكنز أخيرا .

والتفت إلى الرجل الضخم الجثة ، الواقف إلى جواره ، قائلا :

ـــ استعدّ .. لقد دخلت عمليتنا مرحلتها الأخيرة .

بدت من الرجل الضخم حركة تشفّ عن استعداده لتنفيذ الأوامر الصادرة إليه ، فى حين ظلّ الملتحى خلف الحاجز الزجاجى ، يراقب الغواصين ، وهم يعودون حاملين صناديق الكنز ، وانتظر حتى تم نقل الكنز بكل ذهبه وجواهره ونفائسه إلى الغواصة الصغيرة ، وتخلّص الرجال من ثياب الغوص ، وهم يضحكون ويهلّلون فى مرح ظافر ، وقد أطاح بريق الكنز بصوابهم ..

ولكن سعادتهم لم تستمر طويلا ، فقد تلاشت فجأة ، حينما صوّب إليهم الملتحى والضخم بندقيتين غريبتى الشكل ، وقد ارتدى كل منهما أسطوانة أكسوجين للتنفس ، ثم ضغطا الزّناد ،

ليندفع شلّال من غاز رمادى ثقيل ، لم يكد الآخرون يستنشقونه حتى أمسك كل منهم بحلقه ، وانطلقوا يسعلون فى قوة ، وكأنهم موشكون على الاختناق ..

ولم يستغرق الأمر أكثر من دقيقة واحدة ، هوَى بعدها الرجال ، وجحظت عيونهم ، وعلت وجوههم زُرقة مخيفة ، فى حين أسرع الملتحى والضخم يحملانهم ، ويلقون بهم من مدخل الغوص ، فى قرار الغوّاصة ، إلى أعماق البحر ، وواصلت الغوّاصة طريقها ، فى مسار يخالف خُطّة سيرها المتفق عليها ، حتى طفت بالقرب من جزيرة صغيرة ، حيث كان فى انتظارها ثلاثة رجال بمناظيرهم المقرّبة ..

ولم يكد الرجال الثلاثة يلمحون الغوّاصة ، حتى قفزوا إلى زورق بخارى ، وانطلقوا به نحوها ، وتعاونوا مع الملتحى والضخم فى نقل صناديق الكنز إلى الزّورق ، الذى عادوا به إلى الجزيرة ، حيث نقلوا الكنز مرّة أخرى إلى هليوكوبتر ، حلّقت فور اكتمال حمولتها مبتعدة ..

لقد تحوّل الكنز المفقود إلى كنز مسلوب ..

* * *

٢ ــ مهمة فى أستراليا ..

تنقّل (رفعت) بين صفوف المصطافين ، على شاطئ (العجمى) ، وهو يتطلّع إلى وجوههم ، بحثًا عن الشخص الذى حضر خصيصًا من أجله ، وكان الشاطئ مزدحمًا كعادته فى شهر أغسطس ، و (رفعت) ينقّل بصره بين كل الوجوه السابحة فى البحر ، والجالسة تحت المظلات الواقية ، حتى أعياه البحث ..

وفجأة .. وبعد أن انتابه اليأس ، أتى صوت من خلفه يقول فى لهجة مرحة :

ــ هل يمكننى مساعدتك أيها الزميل العزيز ؟

استدار (رفعت) إلى مصدر الصوت فى سرعة ، وتهلّلت أساريره لحظة ، ثم لم تلبث أن اكتست بالدهشة ، وهو يحدّق فى الرمال الخالية ، إلّا من قبّعة قديمة مهملة ..

وفجأة .. تراقصت الرمال ، وقفزت ؛ لتبرز من تحتها يد بشرية ، تحرّكت لتنزع القبّعة ، وتكشف عن وجه

(ممدوح) ، الذى ضحك وهو ينهض من وسط الرمال ، قائلًا :

ــ هل أفزعتك ؟

تنفَّس (رفعت) الصُّعَداء ، وهتف وقد تحوَّلت دهشته إلى لهفة قوية :

ــ (ممدوح) !.. أين أنت ؟.. إننا نحاول الاتصال بك فى (القاهرة) ، عن طريق إدارتنا فى (الإسكندرية) دون جدوى ، حتى اضطررت للحضور ، والبحث عنك بنفسى .

نهض (ممدوح) واقفًا ، وثبَّت القبعة على رأسه ، ونفض الرمال الملتصقة بجسده ، وهو يقول :

ــ هل نسيتم أنها إجازتى يا صديقى ؟. لقد أردت أن أحصل على إجازة حقيقية ، ولو مرَّة واحدة فى حياتى كلها ، فاستأجرت هنا كابينة صغيرة ، دون وسائل اتصال على الإطلاق ، وتعمَّدت ترك ساعة الاستدعاء فى منزلى فى (القاهرة) .

رفعت :

ــ كلانا يعلم أن هذا يخالف تعليمات الإدارة .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ كنت أعلم أنهم سيعثرون علىَّ يا صديقى ، خاصة أن لديهم بوليس سرِّىَ ممتاز مثلك ، يمكنه أن يشتمَّ رائحتى على بعد عشرات الكيلومترات .

ضحك (رفعت) ، وقال وهو يتطلَّع إلى جسد (ممدوح) ، الذى اصطبغ بلون برونزى هادئ :

ــ من الواضح أنك لم تضع وقتك هباءً ، فلقد لوَّحت الشمس جسدك بلون أنيق ، وزاد الهواء النقى والسباحة من قوة بنْيتك ، وتركت الطبيعة الجميلة بصماتها على صحتك .. وهذا يجعلنى أطمئن إلى أن سيادة اللواء (مراد) سيجدك بكامل لياقتك ، وهو يسند إليك المهمة الجديدة .

ممدوح :

ــ ما نوعها يا تُرى ؟.. إلى (الهند) سيرسلنى ، أم إلى جزر (الكاريبى) ؟

ضحك (رفعت) ، وهو يقول :

ــ بل أبعد يا صديقى .. أبعد .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ــ ستذهب إلى (أستراليا) ..

* * *

أدار (رفعت) جهاز العرض السينمائى ، ليلقى على الشاشة البيضاء صورة للرجل الملتحى ، الذى كان يقود (الكوماندون) ، على حين أشعل اللواء (مراد) سيجارته ، قائلًا لـ (ممدوح) ، الذى يجلس إلى جواره فى قاعة العرض فى الإدارة :

ــ هذا الرجل هو (هانز كلاوس) ، من خبراء البحوث المائية والغوص ، جاء بصحبة عالم ألمانى شهير ، يدعى (جوزيف ميللر) ؛ للمشاركة فى بعثة ألمانية مصرية ، للبحث عن (كنز قارون) ، الذى أشارت البرديات القديمة إلى وجوده فى أعماق البحر الأحمر ، داخل مياهنا الإقليمية ، فى المنطقة بين (سفاجة) و (الغردقة) .. ولكن (كلاوس) استولى على الكنز لحسابه ، فور العثور عليه ، بعد أن تخلّص من مجموعة الضفادع البشرية ، التى كانت ترافقه ، ولقد حاول أحد الغوّاصين الآخرين اللّحاق به ، ولكنه فرَّ إلى جزيرة صغيرة ، ونجح فى الهرب بكنز (قارون) ..

أدار (رفعت) جهاز العرض مرّة أخرى ، فظهرت على الشاشة صورة رجل آخر ، فى حين استطرد اللواء (مراد) :

ــ وهذا (جيمس بريان) ، مليونير أمريكى ، اتخذ من

(أستراليا) فجأة موطنًا له ، ومقرًّا لمشروعاته وأعماله .. ولو تأمّلت الوجه جيّدًا ، فستجد أنه نفس الشخص (هانز كلاوس) ، ولكن بلا لحية ، وبعملية تجميل بسيطة ، أجريت له منذ بضعة أيام .

ثم أشار إلى (رفعت) ، ليوقف آلة العرض ، وأُضيئت القاعة ، وهو يلتفت إلى (ممدوح) ، مردفًا :

ــ لقد استولى (كلاوس) على الكنز ، بعد أن خدع فريق البحث المصرى الألمانى ، وقتل عددًا من الغوّاصين المصريين ، وفرَّ بغنيمته إلى (أستراليا) ، متخذًا شخصية جديدة ، وحياة جديدة بفضل الكنز .. ولمّا كان القانون المصرى يجعل كل الكنوز والآثار ، التى يتم العثور عليها داخل حدودنا ، ومياهنا الإقليمية ، ملكًا خالصًا للدولة ، فمن واجبنا أن نعمل على استعادة هذا الكنز ، ونقتصّ من سارقه ، وقاتل مواطنينا الأبرياء الشُرفاء .

ممدوح :

ــ هل تؤكّد التحريّات أن (جيمس بريان) هو نفسه (هانز كلاوس) ؟

اللواء (مراد) :

— ليس كحقيقة لا تقبل الشك ، ولكن مصادر معلوماتنا موثوق بها .. ولقد آثرنا ألا نستعين بـ (الأنتربول)[*] ، وأن نعتمد على وسائلنا الخاصة ، حتى لا يرتاب الرجل ، ويبادر بالفرار إلى جهة مجهولة ، لو أنه الشخص المنشود ، كما أنه يعنينا كثيرًا استرداد ذلك الكنز الأثرى ، نظرًا لقيمته التاريخية الكبيرة ، التى تفوق قيمته المادية كثيرًا ، ونأمل أن ننجح فى ذلك بأدنى خسائر ممكنة .

ممدوح :

— ومتى أسافر إلى (أستراليا) يا سيِّدى ؟

اللواء (مراد) :

— غدًا يا (ممدوح) ، ولكن هناك نقطة هامة ، لابدَّ أن تضعها فى حسابك ، قبل أن تبدأ مهمَّتك .. فنحن لسنا الجهة الوحيدة ، التى تسعى خلف (كلاوس) .. فعملية سرقة الكنز هذه كانت مخطَّطة لحساب واحد من زعماء (المافيا) ، يدعى (سكارد) .. وكان دور (كلاوس) فيها لا يتعدَّى التنفيذ ، إذ كان مدينًا لـ (سكارد) بمبالغ طائلة ، نظرًا

(*) البوليس الدولى .

لخسائره الفادحة على موائد القمار ، التى تديرها (المافيا) .. ولمَّا عجز عن السَّداد عرض عليه (سكارد) ، بعد معرفته باشتراكه فى حملة البحث عن الكنز ، أن يسقط كافة ديونه ، ويدفع له مبلغًا ضخمًا أيضًا ، مقابل سرقته الكنز لحسابه ، إثر العثور عليه .. ولكن (كلاوس) اقتبس الوحى ، ونفَّذ العملية لحسابه ، متصوِّرًا أن أحدًا لن يعثر عليه أو يناله ، بعد أن فاز بالغنيمة كلها .. ولكن (سكارد) من هؤلاء الرجال ، الذين لا يغفرون أبدًا لمن يخدعهم ، ولقد جنَّد كل رجاله للبحث عن (كلاوس) ، واقتناصه .

ممدوح :

— هذا يعنى أن الأمر سيتحوَّل إذن إلى معركة مع (المافيا) ؛ للفوز بـ (كلاوس) هذا ؟!

أجابه اللواء (مراد) ، وهو يضغط حروف كلماته :

— والفوز بالكنز أيضًا .

ردَّد (ممدوح) فى هدوء :

— نعم .. والكنز أيضًا .

ثم ابتسم ، وهو يردف :

— إن مثل هذه المعارك تستهوينى تمامًا يا سيِّدى .

* * *

٣ ــ أصابع الموت ..

غادر (كلاوس) نادى الجولف الشهير ، فى مدينة (سيدنى) ، الأسترالية ، يتقدَّمه مساعده الضخم الجثة ، الذى كان يرافقه فى (الكوماندون) ، برفقة شخص ثالث طويل القامة ، رمادىّ الشعر ، يرتدى منظارًا طبيًّا صغيرًا ، وتقدَّم الثلاثة نحو سيارة فارهة ، تنتظرهم أمام النادى ، وأسرع سائقها يفتح بابها لـ (كلاوس) فى احترام ..

وفى الجهة المقابلة تمامًا ، جلس (ممدوح) داخل سيارته ، يراقب تلك المجموعة الصغيرة .. وما أن اقتربوا من السيارة حتى أخرج آلة تصوير صغيرة ، والتقط لهم صورة مقرَّبة ، وأثار ذلك التصرُّف انتباه مساعد (كلاوس) الضخم ، فاندفع نحو سيارة (ممدوح) فى خطوات سريعة ، وتوقَّف أمام نافذتها ، قائلًا فى صوت أجش ، يخلو من الودّ تمامًا :

ــ معذرة أيها السيِّد .. التصوير ممنوع .

ابتسم (ممدوح) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لِمَ ؟!.. أهى منطقة عسكرية ؟

ازدادت نبرات الحارس خشونة ، وامتلأت بالعداء والتهديد ، وهو يقول :

ــ ناولنى الفيلم فى هدوء ، دون إثارة للمشاكل .

حافظ (ممدوح) على ابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

ــ آسف .. إننى أتولَّى تحميض وطبع أفلامى بنفسى .

ارتفعت فجأة فوَّهة مسدَّس الرجل فى وجه (ممدوح) ، وقال فى صرامة :

ــ فلتعلم إذن أننى لا أهوى المزاح فى مثل هذه المواقف .

هزَّ (ممدوح) كتفيه ، وأخرج الفيلم من آلة التصوير ، وناوله إيَّاه ، قائلًا :

ــ ها هو ذا ، مادمت ترفض أن أحتفظ بصورة تذكارية لكم .

مدَّ الرجل يده ليتناول الفيلم ، ولكن (ممدوح) صوَّب آلة التصوير نحو وجهه الغليظ ، وضغط زرًّا خفيًّا بها ، فانطلقت منها ومْضَة كهربية ، لم تكد تمس وجه الرجل حتى جحظت عيناه ، وأخذ نصفه العلوى كله يرتجف فى قوة ، وتصلَّبت أصابعه ، فسقط مسدَّسه ، وعجز عن التقاط الفيلم ، فقال (ممدوح) وهو يبتسم نفس الابتسامة الساخرة :

ــ لا تبتئس هكذا يا رجل .. سيزول أثر تلك الشحنة

الكهربية بعد دقائق قليلة ، شريطة أن تحرّك نصفك السفلى بضع خطوات إلى الوراء ، وإلّا منحتك شحنة ثانية مضاعفة .

تراجع الرجل عن السيارة فى بطء، ونصفه العلوى يواصل الارتجاج فى قوة ، فيما انطلق (ممدوح) بسيارته ، وهو يهتف قائلًا :

ـــ وداعًا يا صديقى .. اغفرلى ما فعلته بك ، فوجوهكم من الجاذبية بحيث بات من الصعب أن أقاوم فكرة الاحتفاظ بصورة تذكارية لكم .

وفى نفس اللحظة .. اقتربت سيّدة من حارس (كلاوس) ، وتطلّعت لحظة إلى نصفه العلوى ، الذى يرتجف فى قوة ، فالتقطت من حقيبتها قطعة نقدية ، ووضعتها فى يده ، وهى تظنّه متسوّلًا بائسًا ، ومنحته نظرة مشفقة ، قبل أن تنصرف فى خُطًا سريعة ، فى حين بدا وجه (كلاوس) جامدًا ، باردًا ، وهو يراقب ذلك المشهد ، وإن انفرجت شفتاه قليلًا ، وهو يغمغم بكلمة لم يسمعها أحد ..

كلمة تحمل حروف الموت ..

* * *

التقى (ممدوح) بزميله (رفعت) حول مائدة صغيرة ، فى قاعة أحد الفنادق الكبرى فى (سيدنى) ، فى الصباح التالى ، وبادره (رفعت) قائلًا :

ـــ لقد غذّينا الكمبيوتر ، الذى أحضره خبيرنا الفنّى إلى سفارتنا هنا ، بصورة (جيمس بريان) ، التى التقطتها أمس ، فتطابقت ملامحه مع ملامح (هانز كلاوس) تمامًا ، وهذا يؤكّد صحة معلوماتنا السابقة ، وأنهما شخص واحد .. أما بالنسبة لحارسه الضخم ، فهو نفس الرجل الذى كان يرافقه فى (الكوماندون) ، حينما تخلّصا من ضفادعنا البشرية ، وهو ينتحل اسمًا زائفًا بدوره ، فهو يقيم هنا تحت اسم (ميتشوم) .. أما الشخص الثالث ، الذى كان يرافقهما ، فلسنا نملك معلومات محدودة عنه للأسف ، وقد كلّفنا عملائنا محاولة جمع المعلومات عنه .

عقّب (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ لست أظن أننى سأنتظر وصول هذه المعلومات .

ثم نهض من مقعده ، فسأله (رفعت) فى اهتمام :

ـــ ماذا تنوى أن تفعل ؟

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ سأحتفظ بحقّ بدء الجولة الأولى يا صديقى .

* * *

أوقف (ممدوح) سيارته بالقرب من الفيلّا الفاخرة

المنعزلة ، التى يقطنها (كلاوس) ، وغادرها وهو يدرس معالم الفيلَّا فى اهتمام وخبرة ، بحثًا عن أى منفذ إلى الداخل ، وهو يتساءل عن سرِّ اختيار (كلاوس) لهذه الفيلَّا المنعزلة بالذات ..

وفجأة .. فُتحت البوَّابة الخارجية للفيلَّا ، واندفع منها ثلاثة رجال ، يمتطون الجياد ، وبدا مشهدهم بتلك السُّيوف المدلَّاة من نطاقاتهم ، والسِّياط التى يلوِّحون بها ، كفرسان العصور الوسطى .. ولم يدر (ممدوح) وهو يتأمَّلهم فى دهشة ، أنهم إنما خرجوا من أجله خصيصًا ، بعد أن نقلت الكاميرات التليفزيونية المخفاة فى مهارة صورته ، إلى شاشة خاصة ، على مكتب (كلاوس) ، ولم ينتبه إلى ذلك إلَّا بعد أن أحاطوا به بجيادهم .. وقبل أن يندفع نحو سيارته ، أحاط سَوْط أحدهم بمعصمه ، وألهبه على نحو مؤلم ، ثم انهالت السِّياط عليه من كل صَوْب ، لتحُول بينه وبين الوصول إلى سيارته ، وهو يتراجع ، ويحاول حماية وجهه بذراعيه وكفِّيه .

وكان من الواضح أن الرجال الثلاثة يجيدون استعمال السَّوط فى مهارة .. فلم يكد (ممدوح) ينتزع مسدَّسه ، فى محاولة للدفاع عن نفسه ، حتى هوَى أحدهم بسَوطِه على كفِّه ، والتقط مسدَّسه بطرفه .. فسقط (ممدوح) أرضًا ،

وهو يحاول حماية جسده من السِّياط فى يأس ، فى حين قفز الرجال الثلاثة من فوق صهوات جيادهم ، وامتشقوا سيوفهم ، ثم رفعوها ، وصوَّبوها إلى أماكن مختلفة من جسده .. ورأى هو وسط سحابة الألم الحمراء ، التى أحاطت به ، وجه (ميتشوم) ، مساعد (كلاوس) ، وهو يقترب متمهِّلًا على صهوة جواد ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة متشفِّية صفراء ، ورآه يرفع سبَّابته إلى أعلى ، قائلًا :

ـ ها نحن أولاء قد التقينا ثانيةً أيها الشاب ، ومن الواضح أنك من هُوَاة البحث عن المتاعب .. لقد مددت أصابعى نحوك فى المرَّة السابقة لألتقط شريط تصوير ، فصعقتنى بحيلة كهربائية سخيفة .. أما الآن فأنا سيِّد الموقف ، فما أن تهبط سبَّابتى إلى أسفل ، حتى يطعنك هؤلاء الرجال بسيوفهم ، ذات النِّصال اللامعة القاتلة ، وعندها سيرتعد جسدك حقًّا ، ولكن ارتعادتك ستعنى هذه المرَّة موتك .

وأطلق (ميتشوم) ضحكة ساخرة ، واتسعت عينا (ممدوح) وهو يتطلَّع إلى أصابعه ، التى كان موضعها هو الفارق الوحيد بالنسبة له بين الحياة .. والموت .

* * *



فسقط (ممدوح) أرضًا ، وهو يحاول حماية جسده من السِّياط فى يأس ..

٤ ــ المنقذ المجهول ..

فجأة .. تعلَّقت عينا (ميتشوم) بالسماء ، وتصلَّبت سبَّابته المرفوعة إلى أعلى .. فقد حلَّقت طائرة هليوكوبتر فجأة ، على ارتفاع منخفض ، فوق رءُوس الجميع .. وقبل أن يدرك أحدهم ما يعنيه ذلك ، فتحت الهليوكوبتر نيران مدافعها ، لتمطرهم بوابل من الرصاصات ، وكأن السماء تمطر نيرانًا ..

وسقط (ميتشوم) والرجال الثلاثة صرعى ، على حين انطلق (ممدوح) يعدُو ، بأقصى ما يملك من سرعة ، ليلقى جسده أسفل سيارته ، وإن بدا وكأن الهليوكوبتر لم تعن كثيرًا بأمره .. فقد اكتفت بما حقَّقته فى الجولة الأولى ، وتحوَّلت باتجاه الڤيلَّا ، التى أقبلت نحوها سيارة من نوع اللورى ، فى نفس اللحظة التى عادت فيها الهليوكوبتر لتصبّ نيرانها على أماكن محدودة فى الڤيلَّا ، وعلى نحو يوحى بأن الهجوم معدّ له فى عناية ، وأن المهاجمين لهم دراية كافية بالمكان .. فقد أطلقت الهليوكوبتر نيرانها على الكاميرات التليفزيونية ، داخل أسوار

الڤيلَّا ، ثم أصابت (جراج) السيارات ، لتشعل فيه النيران ، وتحُول بين المقيمين بالڤيلَّا واستخدامها .. ثم تحوَّلت لتحلِّق فوق الڤيلَّا نفسها ، فى حين اقتحمت السيارة اللورى مدخل الڤيلَّا الخارجى ، فيما بدا وكأنه جزء من عملية حربية منظمة ، خاصةً مع مشهد اللورى ، وهو ينطلق نحو الڤيلَّا ، والهليوكوبتر تحلِّق فوقه ، وكأنها تعمل على تغطيته ، وحماية عملية الاقتحام ..

وتوقَّف اللورى أمام الڤيلَّا ، وقفز منه عشرة أشخاص مسلَّحين بمختلف الأسلحة ، وقد أخفوا وجوههم بجوارب سوداء من (النايلون) ، واقتحموا الڤيلَّا فى هجوم منظم من كل جانب ..

وشاهد (ممدوح) كل هذا ، وهو يرقد أسفل سيارته ، وتناهى إلى مسامعه صوت طلقات نارية متفرِّقة ، تنبئ باشتعال معركة حامية الوطيس فى الداخل .. وشعر بأنه من المستحيل أن يبقى مختبئًا على هذا النحو ، وأن عليه أن يغادر مكمنه ، ويبحث عن وسيلة للتدخُّل على نحو ما .. فزحف خارجًا ؛ ليتناول مسدَّسه الملقى على الأرض ، استعدادًا لاقتحام الڤيلَّا بدوره ، دون أن يلحظ أن أحد هؤلاء المقنَّعين كان يراقبه فى

حرص ، من خلف الشجيرات التى تحيط بالڤيلَّا .. وما أن رآه يقترب منها ، حتى قفز من مكمنه فجأة ، وقذف نحوه أسطوانة معدنية صغيرة ، فى دقة وبراعة ، ودارت الأسطوانة فى سرعة ، وهى تشق الهواء فى قوة ، ثم ارتطمت برأس (ممدوح) ..

وترنَّح بطلنا لحظة ..

لحظة واحدة ..

ثم غاب عن الوعى تمامًا ..

* * *

انطلق المقنَّع يعدُو نحو (ممدوح) ، وحمله فى سرعة ، ليضعه داخل سيارته ، ثم قفز خلف عجلة القيادة ، وانطلق بالسيارة مبتعدًا عن أرض المعركة ، ثم انتزع الجورب الأسود وأبعده عن وجهه ، وألقاه بعيدًا ، وهو يبتعد ، ويبتعد ، ويبتعد ..

* * *

شعر (ممدوح) بآلام شديدة فى رأسه وجسده ، من جرَّاء ضربات السِّياط ، وصدمة الأسطوانة المعدنية ، وفتح عينيه فى صعوبة ، وهو يحاول تذكُّر ما حدث ، وأدهشه أن وجد نفسه بين يدى امرأة بدينة ، تعمل على تضميد جراحه فى عناية ..

فحاول أن ينهض ، إلّا أنها نصحته — فى غلظة — أن يبقى راقدًا ، ولكنه تمرّد على نصيحتها ، ونهض ليجلس على طرف الفراش ، متسائلا :

— أين أنا ؟.. وما الذى جاء بى إلى هنا ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى دخل رجل أنيق الملبس ، طويل القامة ، رمادى الشعر ، يضع فوق عينيه منظارًا طبيًّا صغيرًا ، وعرف فيه (ممدوح) فورًا ذلك الرجل الثالث ، الذى كان يرافق (كلاوس) و (ميتشوم) ، حينما التقط صورة ثلاثتهم .. وسمعه يقول فى هدوء ، وهو يبتسم ابتسامة جذّابة :

— صباح الخير يا سيد (ممدوح) .. أرجو أن تكون جراحك ضُمّدت جيّدًا .

وأشار إلى المرأة البدينة بإيماءة من رأسه ، فأسرعت تنصرف ، واقترب هو من (ممدوح) بخطوات متمهّلة ، وقال فى هدوء :

— اسمى (نوبل) ، وأعتقد أننا قد التقينا من قبل ، حينما التقطْتَ صورتى مع (كلاوس) .

ممدوح :

— يبدو أنك تعرف عنّى الكثير .

جذب (نوبل) مقعدًا ، وجلس أمام (ممدوح) ، وهو يقول :

— يمكنك أن تقول ذلك .. فلقد كنت إلى جوار (كلاوس) ، حينما أمر بتفتيش حجرتك بالفندق ، بعد ما فعلته بمساعده (ميتشوم) .. ولقد أكّدت المعلومات أنك عميل لجهاز الأمن المصرى ، المعروف باسم المكتب رقم (١٩) .. وأصارحك القول إننى من المعجبين بك .. فلقد قرأت بعضًا من مغامراتك ، مما تنشره الصحف ، والجرائد العالمية .. وأعلم بالطبع أن ما قرأته لا يُعَدُّ شيئًا بالنسبة لما فعلته ، مما يستحيل نشره ، نظرًا لسرِّيّة هذا النوع من الأنشطة ، ولكنه كان يكفى لإعجابى بك .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

— أخجلتم تواضعنا .. ولكن إعجابك بى لا يفسّر وجودى هنا ، أو لقائى بك .

أشعل (نوبل) سيجارته ، وهو يقول :

— لقد شاهدت بالطبع ما حدث فى ڤيلّا (كلاوس) ، أو (جيمس بريان) .. ولكى نتحدّث بصراحة مطلقة ، ينبغى أن تعلم أننى السكرتير الخاص له ، وأننى أعمل معه سعيًا

خلف نفس الهدف ، الذى تسعى إليه أنت .. الكنز الفرعونى .. ولقد بذلت الكثير من الجهد لأكتسب ثقة (كلاوس) ، حتى يبُوح لى بالمكان الذى أخفى فيه الكنز ، بعد استيلائه عليه .

قاطعه (ممدوح) ، قائلاً :

ــ إذن فقد أردت أن تستولى على الكنز لنفسك ؟!

نوبل :

ــ نعم .. ولكننى لم أكن وحدى .. كانت (المافيا) كلها تسعى خلف (كلاوس) ، الذى لم يَحُل تغييره لملامحه بينهم وبين كشف حقيقته ، ومعرفة مكانه .. ولقد رأيت بنفسك كيف اقتحم (سكارد) ، زعيم (المافيا) ، الڤيلاّ مع رجاله ، وكيف يعامل خصومه ويثأر ممن يخونونه .. لقد كانت مذبحة حقيقية ، لم أنج منها إلاّ بعد قتل أحد رجال (سكارد) ، والتخفّى بملابسه وقناعه .. بهذا فقط نجحت فى التسلّل إلى الخارج ، حيث رأيتك تقامر بمحاولة اقتحام الڤيلاّ ، غير مقدّر لعواقب ذلك ، وسط تلك المذبحة البشعة ؛ لذا فقد أفقدتك وعيك ، ونقلتك بسيارتك إلى هنا .

ممدوح :

ــ وكيف كان مصير (كلاوس) ؟

نوبل :

ــ لقد أجبره (سكارد) ، تحت وطأة تعذيب رهيب ، يفُوق احتمال البشر ، على البَوْح بمخبإ الكنز ، ثم استولى على الكنز الأثرى ، وقتل (كلاوس) .

نهض (ممدوح) من الفراش ، وسار حتى منتصف الحجرة ، ثم قال :

ــ حسنًا .. لنفرض أن كل هذا قد حدث .. لا تحاول إقناعى أن إنقاذك لى ، وإحضارى إلى هنا ، وتضميد جروحى كان لمجرّد أنك معجب بى فقط .. لا ريب أنك تخفى خلف تلك الشهامة هدفًا ما .

ابتسم (نوبل) ، قائلاً :

ــ إن ذكاءك يزيد من إعجابى بك أيها المقدّم .

ثم عاد بظهره إلى مسند مقعده ، ووضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، وهو يردف فى هدوء :

ــ بالطبع .. إن لى هدفًا .

وعاد يعتدل ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ــ لقد أصبح الكنز الآن فى حوزة (سكارد) ، زعيم (المافيا) ، وهذا يعنى ــ بكل واقعية ــ أن الأمر قد صار

أكثر صعوبة وخطورة بكثير .. فالتعامل مع شخص مثل (كلاوس) ممكن ، ولكن مواجهة (سكارد) ، وخلفه (المافيا) كلها أمر مستحيل ، ما لم يشاركنى أحد المخاطرة .. وشخص بشجاعتك وخبرتك ، وسجلّك الحافل ، واعتيادك على المخاطر ، هو الشخص المثالى لمعاونتى على مواجهة (سكارد) ورجاله .. وسأتنازل عن الكثير من طموحاتى ، وأجعلها أكثر تواضعًا ، وأرشدك إلى أحد المقرَّبين إلى (سكارد) ، وبواسطته ، وبتعاونى وخدماتى ، يمكنك أن تستخدم وسائلك الخاصة ، وتنتزع الكنز من أنياب الأسد .

ممدوح :

ــ وما الذى تُفيده أنت من ذلك ؟

نوبل :

ــ خمسة وعشرين فى المائة من الكنز يا صديقى ، ولنقل إنها مكافأة تعاون .

عقد (ممدوح) ذراعيه أمام صدره ، وتطلّع إليه بنظرة ثاقبة ، وهو يقول :

ــ وماذا لو رفضت ؟

ابتسم (نوبل) فى تهكُّم ، وهو يقول :

ــ هذا من حقّك ، ولكننا سنتقاسم الخسارة فى هذه الحالة .. فسيعنى هذا أن المهمَّة التى قطعت من أجلها آلاف الأميال ، قد فشلت .. خاصة أن (سكارد) ورجاله سيقومون بتهريب الكنز إلى خارج (أستراليا) ، بعد بضعة أيام ، كما علمت ، ولا أحد يعرف حقيقتهم سواى .. وحتى المباحث الأسترالية ، التى تبذل جهدًا ضخمًا للعثور على الفاعل فى مذبحة فيلّا (جيمس بريان) لا تعلم شيئًا عن الحقيقة .. أنا وحدى أعلم .. وأنا وحدى يمكننى مساعدتك .

ممدوح :

ــ ومن هو ذلك الشخص القريب من (سكارد) ؟ وكيف تسنَّى لك معرفته ؟

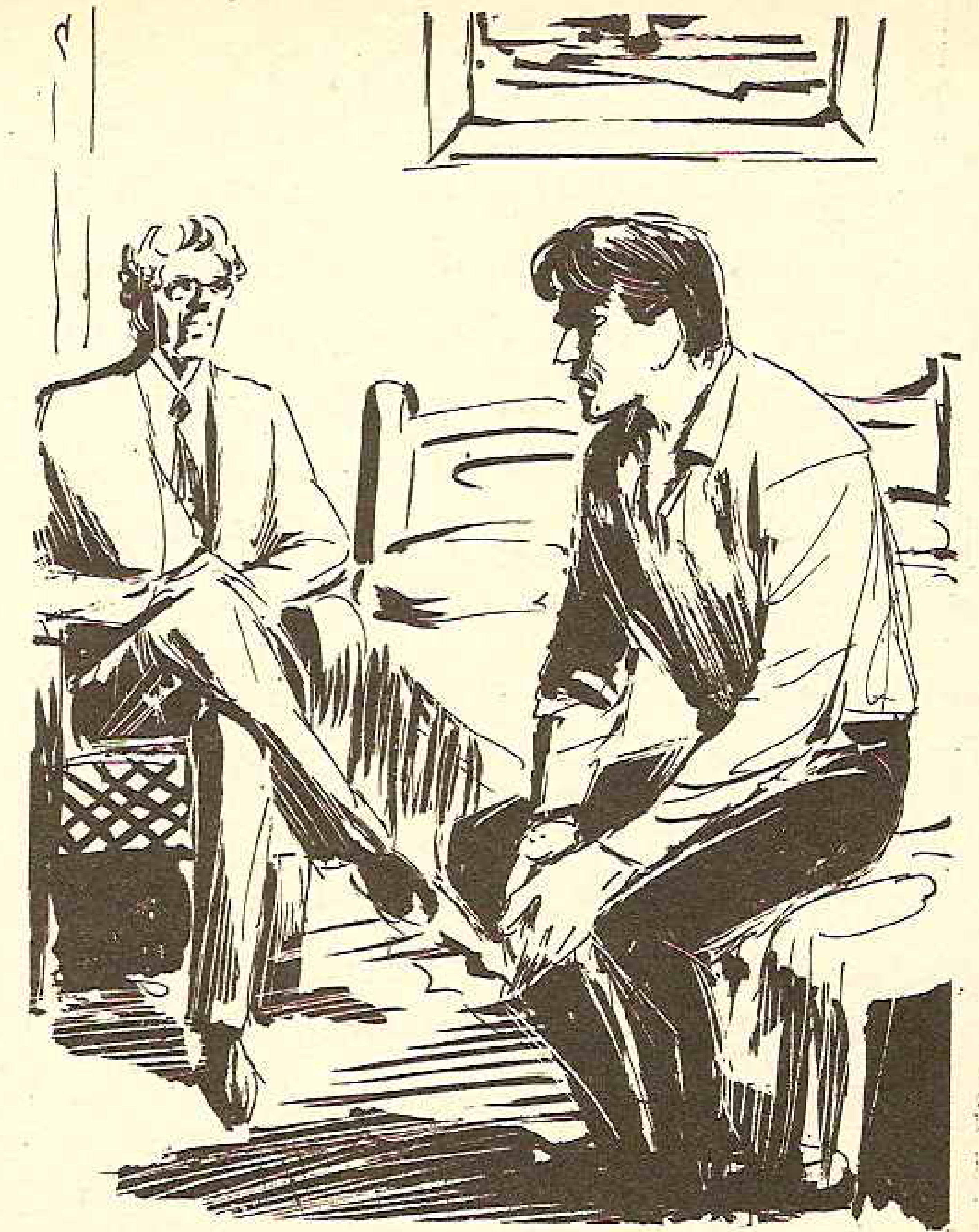
نوبل :

ــ لقد تمزّق ذلك الجورب ، الذى كان يخفى به وجهه ، فى أثناء المذبحة .. ولقد عرفته ، وأعلم من هو ، وأين يقيم .

تظاهر (ممدوح) بالتفكير العميق ، ثم رفع رأسه إلى (نوبل) ، قائلًا فى حزم :

ــ إننى أوافق .

* * *



تظاهر (ممدوح) بالتفكير العميق ، ثم رفع رأسه إلى (نوبل) قائلًا فى حزم :
— إننى أوافق ..

٥ ـ يخت الشيطان ..

دخل (ممدوح) و (نوبل) إلى أحد نوادى الجالية اليونانية فى (سيدنى) ، واستقبلهما أحد أعضاء النادى ، الذين تربطهم صلة قوية بـ (نوبل) ، فى ترحاب ، وقادهما إلى إحدى موائد النادى ، التى كانت رَدهته تشهد عرضًا للرقصات اليونانية الشعبية ، التى اندمج فيها أفراد الجالية شيوخًا وشبابًا ، وأحضر لهم السَّاقى مشروبًا شعبيًّا ، يونانيًّا ، ارتشف (نوبل) بعضه فى هدوء ، وأشار إلى أحد الراقصين ، قائلًا :

— هل تَرَى ذلك الرجل ؟.. الثالث إلى اليمين .. إنه رجلنا .

ارتشف (ممدوح) شرابه بدوره ، وهو يختلس النظر إلى الرجل ، فى حين تابع (نوبل) قائلًا :

— اسمه (أرسطوس) ، من أصل يونانى ، يمتلك إحدى شركات السياحة الضخمة ، التى تمتد فروعها فى العديد من العواصم الكبرى ، يمتلك يختًا فاخرًا ، يرسو فى المياه العميقة ،

على بعد بضع مئات من الأمتار من ميناء (نيوكاسل) .. ولقد قدّمنى له ذلك الصديق ، الذى استقبلنا فى مدخل النادى .. ولقد تحدّث إلىّ كثيرًا ـــ يومئذ ـــ عن (كلاوس) ، وعن تفاصيل فيلّته ، بدعوى أنه يرغب فى شرائها ، دون أن أدرى ـــ حينئذ ـــ أنه كان يهدف إلى تكوين فكرة واضحة عن المكان قبل مهاجمته .. وأعتقد أنه الساعد الأيمن لـ (سكارد) .

ممدوح :

ـــ لاشك أن نجاتك من المذبحة ستدهشه الآن .

نوبل :

ـــ لو عرف أننى رأيت وجهه الحقيقى فى الفيلّا ، ما كنت أجلس معك الآن .

ازداد حماس الراقصين ، وأخذوا يحطّمون أطباق المطعم ، كما جرت العادة فى الرقصات الشعبية اليونانية .. وحانت التفاتة من (أرسطوس) نحو مائدة (ممدوح) و (نوبل) ، فحيّاه بإيماءة من رأسه .. ولاحظ (ممدوح) تلك الدهشة التى ارتسمت على وجه الرجل ، قبل أن يستعيد جموده وقسوته ، ويبدأ فى الرقص بعنف .. ثم التقط (أرسطوس) مجموعة من الأطباق ، وحطّمها عند أقدام (ممدوح) و (نوبل) ..

وبدا الانزعاج على وجه هذا الأخير ، فى حين ظل (ممدوح) هادئًا ، رابط الجأش ، وهو يبتسم ابتسامة باهتة باردة ، حتى انتهت الرقصة .. فنهض (نوبل) ، واتجه نحو (أرسطوس) ، وهو يصفّق بكفّيه فى حماس مصطنع ، ثم مدّ يده يصافحه ، قائلًا :

ـــ رائع .. كم يسعدنى أن نلتقى مرّة أخرى أيها الصديق .. إنك ترقص فى براعة يحسدك عليها الشباب .

أخرج (أرسطوس) منديله ، وأخذ يمسح عرقه ، قائلًا :

ـــ يسعدنى لقاؤك أيضًا يا (نوبل) ، وإن لم أكن أتصوّر لقاءنا بهذه السرعة .

ضحك (نوبل) ، قائلًا :

ـــ لقد أصبحت أمتلك الكثير من الوقت ؛ للقاء الأصدقاء ، خاصةً وقد فقدت وظيفتى .

أجابه (أرسطوس) ، وقد أدرك مغزى عبارته :

ـــ لقد قرأت خبر مصرع مخدومك فى الصحف ، وتؤسفنى هذه الأحداث المحزنة .

نوبل :

ـــ آه .. نسيت أن أقدّم لك صديقى ، مستر (كلارك) .. لقد جاء خصيصًا لمقابلتك .

وقبل أن يستفسر (أرسطوس) عن الدافع لهذا اللقاء ، قدَّم له (نوبل) (ممدوح) ، الذى صافحه قائلاً :

ـــ يسعدنى أن ألتقى بك يا مستر (أرسطوس) .

تقدَّم ثلاثة رجال ضخام الحجم ، ليقفوا على مقربة من (أرسطوس) ، ويراقبوا (ممدوح) و (نوبل) فى تحفُّز ، فى حين قال (أرسطوس) فى برود :

ـــ لقد أسعدنى لقاؤك حقًّا ، ولكن معذرة .. إننى مضطر للانصراف بسبب موعد عاجل وهام .

نوبل :

ـــ يؤسفنى أن تضطر للانصراف هكذا سريعًا يا مستر (أرسطوس) .. فقد كان صديقى مستر (كلارك) يرغب فى مناقشتك بشأن يختك ، الذى يرسو بالقرب من (نيوكاسل) .

انقلبت سحنة (أرسطوس) ، وهو يقول فى اضطراب واضح :

ـــ اليخت ؟!.. ماذا عن اليخت ؟

ممدوح :

ـــ لقد حدَّثنى صديقى (نوبل) عن يختك الفاخر يا سيِّدى .. ولمَّا كنت من المغرمين بالطرازات الكلاسيكية

والأرستقراطية ، فلقد أردت أن أعرض عليك رغبتى فى شراء يختك ، بأى ثمن تطلبه .

أرسطوس :

ـــ يؤسفنى أنه ليس معروضًا للبيع .. ثم إننى لست المالك الأصلىَّ له ، فأنا وكيل المالك فحسب ، ولا أظنه سيوافق على بيعه .

سأله (ممدوح) فى إلحاح :

ـــ هل تسمح لى بمحاولة إقناعه ؟

أرسطوس :

ـــ لا بأس .. تعالَ إلى الميناء فى العاشرة من صباح الغد .. وإذا كان المالك مستعدًّا لمناقشة هذه المسألة ، فسأرسل من يحضرك إلى اليخت بقاربنا البخارىّ ، حيث سننتظرك .

ثم تطلَّع إلى ساعته ، مستطردًا فى تبرُّم :

ـــ والآن .. هل تسمحان لى بالانصراف ؟

وأعقب قوله بأن شدَّ على يد (نوبل) مصافحًا ، وهو يستطرد :

ـــ أرجو أن نلتقى مرَّة أخرى يا عزيزى (نوبل) .. وسيسعدنى أن ترافق صديقك إلى الميناء غدًا .

نوبل :

— سيكون هذا من دواعى سرورى يا سيِّد (أرسطوس) .

انصرف (أرسطوس) بصحبة رجاله الثلاثة ، وقال وهو يتقدَّمهم إلى الخارج :

— أريد التخلُّص من هذين الوغدين الليلة .

أجابه أحدهم ، وهو يفتح له باب سيارته :

— لقد أصدر الزعيم (سكارد) أوامره بذلك ، منذ دقائق يا مستر (أرسطوس) .. فلقد أخبره (كاسيس) أن أحد الرجلين كان فى الفيلَّا ، التى هاجمناها أمس .. وأن الرجلين قد يكونان مصدر خطر علينا ، ويمكنك اعتبار أمرهما منتهيًا .

جلس (أرسطوس) داخل سيارته ، التى انطلقت به فورًا ، وأخذ يسوِّى من رباط عنقه ، وهو يغمغم فى تهكُّم شرس :

— حسنًا يا عزيزى (نوبل) .. أظن أننا لن نلتقى بعد هذا أبدًا .. لا أنا وأنت ، ولا أنا وصديقك مستر (كلارك) .. اللهم إلَّا فى الجحيم .

ثم أطلق ضحكة كريهة مخيفة ..

* * *

٦ — طريق الفزع ..

لم يكد (نوبل) يغادر النادى ، حتى وثب إلى سيارته مسرعًا ، وهو يدعو (ممدوح) للَحاق به .. وما أن استقرَّ (ممدوح) إلى جواره ، حتى أطلق لسيارته العنان ، محاولًا الابتعاد بأقصى قدر عن تلك النظرات النارية التى تتعقَّبه خارج النادى .

كان يشعر فى أعماقه بخوف خفىّ ، وقد خامره شعور بأنه قد تورَّط بأكثر مما ينبغى فى هذه اللُّعبة الخطرة .. ولم يكن يدرى إلى أين يذهب ، ولكنه كان يدرك حقيقة واحدة ، ألا وهى ضرورة الابتعاد عن هذا المكان ، الذى يفُوح برائحة الخطر ..

وأطلق (ممدوح) ضحكة قصيرة ، وهو يتطلَّع إلى وجهه ، قائلًا :

— إنك تتصبَّب عرقًا ، وتبدو مضطربًا للغاية .

نوبل :

— ألم ترَ نظرات ذلك الرجل ، وهو ينهى حديثه معنا ؟..

ألم تلحظ أولئك المتربّصين فى الخارج ؟.. لقد أدركت الآن جسامة خطئى ، بتورُّطى معك فى هذه العملية ، المحفوفة بالمخاطر .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ الباحثون عن الذهب يلقُون مخاوفهم خلف ظهورهم ، يستبدلون بها دائمًا المطامع .

جفَّف (نوبل) عرقه ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى سبب إصرارك على مقابلة (أرسطوس) !!.. إننا لن نجنى من هذا سوى إثارة مخاوفهم وشكوكهم ، وكان يكفى أن أخبرك باسمه ؛ لتتصرَّف بمفردك .

ممدوح :

ـــ على العكس .. لقد حققنا من وراء هذا اللقاء هدفين هامَّين : أولهما : أننا قد تأكَّدنا من أن الكنز داخل اليخت .

قاطعه (نوبل) فى دهشة :

ـــ وما الذى يجعلك تتأكَّد من ذلك ؟

ممدوح :

ـــ ألم تَرَ تلك النظرة القلقة المضطربة ، التى تجلَّت فى عينى (أرسطوس) ، حينما أخبرته أننى أودُّ محادثته بشأن اليخت ؟..

إنها تشفّ عن خوفه من أن نكون قد أدركنا ما يحويه اليخت من أسرار ، وأغلب الظن أنهم قد نقلوا الكنز إلى اليخت ، بعد أن استولوا عليه من المخبإ ، الذى أخفاه فيه (كلاوس) ، ولهذا السبب أبقوا اليخت فى المياه العميقة ، بعيدًا عن الميناء .

قال (نوبل) ، يستحثه على مواصلة الحديث :

ـــ وثانيًا ؟

ممدوح :

ـــ ثانيًا : إننا قد ألقينا بذرة الشَّك فى قلوبهم نحونا ، وسيزيد من أهميتنا فى نظرهم ، حتى يتبيَّنوا ما يدور فى عقولنا على الأقل ، ومدى معرفة الآخرين به ، ولهذا السبب أعتقد أن (سكارد) سيرحِّب بزيارتنا له ، فى يخته الفاخر غدًا .

ابتسم (نوبل) فى مرارة ، قائلًا :

ـــ ثم يلقِى بنا طعامًا للأسماك .. كلَّا .. إننى لن أرافقك فى زيارتك لهذا الشيطان .

ممدوح :

ـــ هذا ما أريده بالضبط ، فينبغى أن يظل أحدنا بعيدًا عن مخالب الشيطان ، ليقوم بدور الملاك الحارس للآخر .

غمغم (نوبل) بصوت متهكِّم حانق :

ـــ وهل تظن أننى أصلح لمثل هذا الدور ؟.

ممدوح :

ـــ نعم .. ما دمت تسعى خلف الذهب ، ولكننى لا أستطيع أن أؤكّد ما إذا كنت ستنقلب إلى شيطان آخر أم لا ، بعد حصولك عليه .

أطلق (نوبل) ضحكة مضطربة ، لم تلبث أن تلاشت فى سرعة ، وتحوّلت إلى شهقة رُعب وفزع ، وهو يحدّق فى الجهة الأخرى من الطريق .. وأرسل (ممدوح) بصره إلى الجهة نفسها ، ثم اتسعت عيناه فى ذُعر ودهشة ، فإلى جوار سيارتهم تمامًا كانت تنطلق سيارة أخرى ، وقد أطلّ من نافذتها الخلفية مدفع رشّاش ..

* * *

أدرك (ممدوح) خطورة الموقف مع النظرة الأولى ، فأسرع ينبطح أرضًا ، وهو يهتف بـ (نوبل) أن يحذو حذوه ، دون أن يتخلّى عن عجلة القيادة .. وفى اللحظة التالية دوّت أصوات الرصاص ، ومرقت فوق رأسيهما عشرات الرصاصات ، وظلّ (ممدوح) محتفظًا برباطة جأشه ، نظرًا لاعتياده مثل هذه المواقف ، وقال لـ (نوبل) ، الذى ارتجفت أصابعه الممسكة بعجلة القيادة :

ـــ حاول أن تزيد من سرعة السيارة ، وتسبق سيارة هؤلاء القتلة لبضع ثوان فقط .

أجابه (نوبل) بصوت أقرب إلى البكاء :

ـــ لا يمكننى .. إننى غير قادر على التحكُّم فى القيادة ، فى هذا الوضع .

نهره (ممدوح) فى صوت صارم ، طغى على صوت الطلقات الناريّة :

ـــ إنها فرصتك الوحيدة فى النجاة ، لو أنك ترغب فى ذلك .

ضغط (نوبل) دوّاسة الوقود بأقصى ما يملك من قوة ، وقفزت السيارة إلى الأمام ، ومحرّكها يزأر مُحْتَجًّا ، ولكنها نجحت فى تخطّى السيارة المطاردة .. وهنا دفع (ممدوح) باب السيارة المجاور له قليلًا ، بحيث لا يلحظ أحد أنه قد فُتِحَ ، وأخرج مسدّسه فى هدوء ، واستعد لمواجهة أولئك القتلة ، الذين زادوا من سرعة سيارتهم بدورهم ، ليعيدوا الكرّة .. وكان الطريق خاليًا تمامًا ، ومتسعًا ، بحيث عادت السيارة المطاردة تجاور سيارتهما بعد ثوان معدودة ، وعادت طلقات المدفع الرشاش تنهمر فوق رأسيهما مرّة ثانية .

ثم توقف إطلاق النار ، والتقطت أذن (ممدوح) المرهفة المدرَّبة صوت تغيير خزانة المدفع .. وهنا دفع باب السيارة فى حركة مفاجئة ، وبرز منه كالبرق ، وانطلقت من مسدَّسه رصاصتان ، محكمتا التصويب ، استقرَّتا فى رأس الرجل الذى يمسك المدفع الرشَّاش ..

وحاول رجل آخر أن يلتقط مدفع زميله القتيل ، ويواصل إطلاق النار ، ولكن (ممدوح) أطلق رصاصتين أخريين على إطارات السيارة ، فانفجرت الإطارات ، وانحرفت السيارة فى قوة ، وفقد قائدها سيطرته عليها ، فارتطمت بإحدى الأشجار القائمة على جانب الطريق فى قوة ، وانفجرت مقدِّمتها فى عنف ، واشتعلت فيها النيران ..

وهنا فقط عاد (نوبل) يستوِى فوق مقعده ، وضغط كمَّاحة سيارته ؛ ليوقفها على جانب الطريق ، والعرق يغمر وجهه ، وهو يرتكن بذراعيه إلى عجلة القيادة ، غير مصدِّق أنه قد نجا من موت محقَّق ، والتفت إلى (ممدوح) هاتفًا :

ــ لقد قمت بعمل رائع ، يؤكِّد أنك محترف بحقّ .

قال (ممدوح) ، وهو يعيد مسدَّسه إلى جرابه :

ــ أنت أيضًا تحكَّمت فى عجلة القيادة ببراعة تستحق الإعجاب ، على الرغم من صعوبة الموقف .

زفر (نوبل) ، وقال :

ــ إنها غريزة حُبّ البقاء يا صديقى .

تطلَّع (ممدوح) إلى الطريق ، وقال :

ــ حسنًا .. علينا أن نسرع بالابتعاد عن هنا للسبب نفسه ، فأغلب الظن أن هذا ليس آخر فريق القتلة .. فضلًا عن أن المنطقة ستكتظ برجال الشُّرطة بعد قليل ، وسيكون من الضرورى أن تتخلَّص من هذه السيارة ، وإلا صرنا هدفًا مكشوفًا .

أدار (نوبل) محرِّك سيارته ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ ألم أقل لك ؟.. إنك محترف بحقّ .

* * *

جوَّل (ممدوح) فوق رصيف ميناء (نيوكاسل) ، وهو يطالع ما نشرته صحيفة الصباح عن حادث السيارة ، على الرغم من أنه أعلم الجميع بتفاصيله ، حتى أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة تمامًا .. وهنا توقَّفت إلى جواره سيارة أنيقة حمراء اللون ، وهبط منها (أرسطوس) ، وهو يرتدى قميصًا أزرق اللون ، قصير الأكمام ، ويضع على عينيه منظارًا شمسيًّا داكنًا ، خلعه وهو يبتسم ابتسامة مفتعلة ، قائلًا :



وهنا توقفت إلى جواره سيارة أنيقة حمراء اللون وهبط منها (أرسطوس) ..

ــ مرحبًا يا عزيزى (كلارك) .. لقد حضرت فى موعدك تمامًا .

ممدوح :

ــ ماكان لى أن أتخلّف عن موعد يتيح لى زيارة هذا اليخت الرائع .. إنه تحفة بحرية .

أدار (أرسطوس) عينيه حوله ، وهو يقول فى صوت حاول أن يجعله طبيعيًّا :

ــ وأين صديقنا (نوبل) ؟

ممدوح :

ــ لقد سألنى أن أُبلغك اعتذاره .. فقد تذكّر موعدًا هامًّا هذا الصباح .

اختلط بكلمات (ممدوح) الأخيرة صوت زورق بخارىّ يقترب ، ورآه (ممدوح) يشقّ الماء حتى استقرَّ بمحاذاة الرصيف ، على حين أعاد (أرسطوس) منظاره الطبىّ إلى عينيه ، وقال دون أن يتخلّى عن ابتسامته المفتعلة :

ــ حسنًا يا صديقى .. هيًا لتشاهد تحفتك البحرية .

قفز (ممدوح) إلى الزَّورق البخارىّ ، وتبعه (أرسطوس) ، الذى همس لسائق الزَّورق ، وبعض الأشخاص فى المقدمة

بكلمة ما ، فانطلق الزَّورق مبتعدًا عن الميناء ، ومقتربًا من اليخت ، حتى وصل إليه ، فتدلَّى من اليخت سُلَّم معدنى ، ارتقاه (ممدوح) فى خفَّة ، وتبعه (أرسطوس) ..

ولكن هذا الأخير لم يعُد يحتفظ بابتسامته المفتعلة هذه المرَّة .

لقد ألقاها جانبًا ، واستعاد ملامحه الحقيقية ..

ملامح شيطان مريد ، يعلم أن فريسته قد خطَت بأقدامها إلى قرار الجحيم ..

* * *



٧ ــ خطر الأعماق ..

استقبل (ممدوح) ، على ظهر السفينة ، رجلًا فى الخمسين من عمره ، متوسط القامة ، بدين ، له لحية سوداء قصيرة ، ويرتدى زيًّا رياضيًّا ، وسروالًا قصيرًا ، قدَّمه إليه (أرسطوس) قائلًا :

ــ مستر (سكارد) .. المالك الحقيقىّ لهذا اليخت .

صافحه (ممدوح) ، قائلًا :

ــ يسعدنى أن ألتقى بك يا مستر (سكارد) .

شعر (ممدوح) بأن كفَّه تكاد تُسْحَق فى قبضة الرجل القويَّة ، وهو يصافحه فى حرارة مفتعلة ، قائلًا :

ــ أنا أيضًا يسعدنى لقاؤك يا مستر (كلارك) .

ثم وضع يده على كتفه فى مودَّة ، وهو يصحبه لمشاهدة اليخت ، مستطردًا .

ــ لقد بلغنى أنك معجب بيختى الصغير ، وترغب فى شرائه .

أجابه (ممدوح) ، وهو يتأمّل تصميم اليخت البديع :

ـــ هذا الطراز بالذات يروق لى .

سكارد :

ـــ كم يؤسفنى ألا أحقق رغبتك يا عزيزى .. فهذا اليخت يمثّل لى قيمة عاطفية خاصة .

ممدوح :

ـــ إننى أقدّر ذلك .

سكارد :

ـــ وعلى الرغم من ذلك ، فلقد رأيت أن شدة إعجابك بيختى الصغير تمنحك الحقّ فى زيارته ورؤيته عن قُرب على الأقل .

وتقدّمه ، وهو يشرح له فى حماس كل تفاصيل اليخت الفاخر ، ودقائق آلاته ، وتصميمه الكلاسيكى ، الذى يعود إلى القرن السابع عشر ، فيما عدا مهبط تلك الهليوكوبتر الأنيقة ، الرابضة على سطحه ، والمخصصة لنقله إلى أيّة جهة فى (سيدنى) .. ولاحظ (ممدوح) أن (سكارد) قد طاف به كل أرجاء اليخت ، عدا قمرة واحدة تجاهلها تماما ، ومرّ بها مرور الكرام ، وهو يقول :

ـــ معذرة .. هذه القمرة تحوى بعض الحوائج الشخصية .

تظاهر (ممدوح) بأن هذا لا يعنيه كثيرًا ، وهو يقول :

ـــ إن يختك أكثر رَوْعة مما قدّرت يا مستر (سكارد) .

سكارد :

ـــ أشكرك على هذه المجاملة الرقيقة .. يبدو أنك من ذلك النوع الذى يقدّر الأشياء الثمينة . ثم قاده فى النهاية إلى الحجرة الرئيسية فى اليخت ، وهى مجهّزة بأفخر الأثاث والرّياش ، وتتوسّطها مائدة حافلة بأنواع شتّى من المشروبات ، ودعاه للجلوس معه إلى جوار المائدة ، حيث تولّى (أرسطورس) تقديم المشروبات لهما .. ولمح (ممدوح) بطرف عينيه جريدة الصباح فوق المائدة ، ويتصدّرها حادث سيارة أمس ، ووجد (سكارد) يبتسم فى خبث ، قائلاً :

ـــ حادث مؤسف .. أليس كذلك ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ـــ مثل هذه الحوادث كثيرة الوقوع على الطرق السريعة .

سكارد :

ـــ إنه ليس مجرّد حادث عادىّ ، لقد أصيب أحد الضحايا برصاصتين فى رأسه ، قبل حدوث الاصطدام .

تصنَّع (ممدوح) الدهشة ، قائلًا :

ـ أهذا معقول ؟!.. ولكن باقى الخبر يشير إلى وجود مدفع رشّاش مع ضحايا الحادث ، أهُمْ ضحايا حقًّا ، أم مجرَّد مجرمين قتلة ، نالوا جزاءهم العادل ؟

ارتسم الغضب والكراهية واضحين على ملامح (سكارد) و (أرسطوس) ، وقد أدركا أن (ممدوح) يسخر منهما ، وقال (سكارد) فى صوت بارد ، تشوُبه نبرة تهديد :

ـ من أنت يا مستر (كلارك) ؟.. وما السبب الحقيقى ، الذى دَعاك لزيارة يختى ؟

أجابه (ممدوح) فى مرح وثقة :

ـ مجرَّد رجل أعمال عادىّ ، يرغب فى شراء يختك ، أو رؤيته على الأقل .

نفث (سكارد) دُخان غليونه فى وجه (ممدوح) ، وازدادت نبراته حِدَّة ، وهو يقول :

ـ مستر (كلارك) .. أعتقد أنك كاذب .

قال (ممدوح) فى برود :

ـ عجبًا !!.. هذه الإهانة لا تتفق مع الاستقبال الوُدِّىّ ، الذى لقيته منك فى البداية .. ولكننى سأتغاضى عنها ؛ تقديرًا لذوقك الرائع فى تأثيث هذا اليخت .

ارتسم تعبير ساخر على وجه (سكارد) ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. إذا كان يختى يعجبك إلى هذا الحدّ ، فلا تقل إننى لم أُحقِّق لك رغبة أخيرة ، قبل تنفيذ حكم الإعدام .

وفجأة .. وبصوت خاص من سبَّابته وإبهامه ، ولج الحجرة خمسة رجال ضخام الجثث ، تلوح فى عضلاتهم الضخمة قوة مخيفة ، وتلُوح فى وجوههم ملامح الشر والإجرام ، وأحاطوا بـ (ممدوح) إحاطة السوار بالمعصم ، فى حين استطرد (سكارد) فى برود شامت :

ـ والآن .. ماذا تحب أن نصنع ببقاياك يا مستر (كلارك) ؟.. أنلقى بها للأسماك ، أم نصنع منها قرصًا من (العجَّة) ؟..

* * *

انقبضت عضلات (ممدوح) ، وتحفَّزت للقتال ، والاشتباك مع الرجال الخمسة .. ولكن تناهى إلى مسامعه فجأة صوت مُحرِّك بخارىّ يقترب .. فلانت ملامحه ، واسترخت عضلاته دفعة واحدة ، على نحو أثار دهشة الجميع .. فالتفت (أرسطوس) يتطلَّع فى تساؤل إلى الزَّورق ، الذى وقف (نوبل) وسطه ، بصحبة رجل آخر ، وهما

يلوّحان بأيديهما ، فى حين ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى برود ساخر :

ــ نسيت أن أخبركم بأن صديقى (نوبل) ، كان يقوم بزيارة نائب مدير الشُرطة فى (سيدنى) هذا الصباح ، وأنه قد دعاه لمرافقته فى زيارته ليختكم الصغير .. فهل يضايقكم هذا يا تُرى ؟

احتقن وجه (سكارد) غضبًا ، وأشار لرجاله الخمسة بالانصراف ، وأخذ ينفث دُخان غليونه فى حَنَق واضح ، فى حين ارتقى (نوبل) ونائب مدير الشُرطة سُلّم اليخت المعدنى إلى سطحه ، وصافح (نوبل) الجميع ، وهو يقول ضاحكًا :

ــ لقد رأيت أنه من المؤسف أن تفُوتنى زيارة هذا اليخت الرائع ، الذى ينعم صديقى (كلارك) بزيارته الآن .. ولمّا كنت مرتبطًا بموعدى مع صديقى نائب مدير الشُرطة ، فلقد رأيت أن أدعوه لمشاركتى هذه الزيارة ، وأرجو ألّا يكون فى ذلك ما يثقل على مستر (سكارد) .

صافحهما (سكارد) ، وهو يقول بابتسامة باهتة :

ــ حضوركما يشرّفنى ويسعدنى .. تفضّلا .

علت وجه (ممدوح) ابتسامة ارتياح ، وهو يقول :

ــ لقد حضرتما فى الوقت المناسب ، فلقد كنا نهمّ ببدء بعض الألعاب الطريفة .

ضحك (نوبل) ، قائلًا :

ــ رائـــــع .. هل يمكنـنـــــا مشاركتكــــــم فيها ؟

تطلّع (ممدوح) إلى وجه (سكارد) المحتقن فى غضب ، وقال فى سخرية :

ــ لا أظن .. فمثل هذا النوع من الألعاب لا يرُوق حتمًا لشخصية جادَّة ، كشخصية نائب مدير شرطة .

ثم أطلق ضحكة غلت لها الدماء فى عروق (سكارد) و (أرسطوس) ورجالهما ..

* * *

لم يكد (ممدوح) ورفيقاه ينصرفان ، حتى أشعل (سكارد) غليونه ، ونفث دخانه فى حنق ، وهو يقول لـ (أرسطوس) :

ــ ذلك الوغد وزميله يعلمان أننا نملك الكنز ، وأننا نخفيه هنا فى اليخت ، وقدوم نائب مدير الشُرطة بصحبتهما لا يبشّر بالخير .

أرسطوس :

ـــ أشاركك هذا الرأى .

سكارد :

ـــ ينبغى أن نغيِّر خُططنا حتمًا ، فسيتم تفتيش هذا اليخت ، إن آجلًا أو عاجلًا ، بواسطتهما أو بواسطة رجال خفر السواحل ؛ لذا عليك أن تأمر غوَّاصينا بإخفاء الكنز فى أعماق المحيط ، بعد تمييز مكانه بعلامة خاصَّة ، وبعد حصولنا على تصريح بمغادرة المياه الإقليمية الأسترالية سنعود لاستخراجه .

أرسطوس :

ـــ اطمئن أيها الزعيم .. سأبدأ فى التنفيذ فورًا ..

* * *

قال (ممدوح) لـ (نوبل) ، وهما يجلسان داخل أحد السفن التجارية ، الراسية على رصيف الميناء :

ـــ أراهنك أن الكنز يختفى داخل تلك القمرة ، التى رفض (سكارد) إطلاعى عليها داخل اليخت .

نوبل :

ـــ ألا تخشى جسامة المخاطرة ، بذهابك إلى هؤلاء الحيتان ؟ فلولا حضورنا فى الوقت المناسب هذا الصباح لالتهموك وابتلعوك بلا تردُّد .

ابتسم (ممدوح) ، وقال وهو يرتدى ثياب الغوص :

ـــ لقد اعتدت التعامل مع هؤلاء الحيتان .. اطمئن .. ستسير خُطَّتنا على النحو المتفق عليه .

وقفز إلى زورق بخارىّ ، واتجه به نحو اليخت ، فى حين غادر (نوبل) المكان بسيارته ، مبتعدًا عن الميناء .. وأوقف (ممدوح) محرِّك زورقه ، على مسافة غير بعيدة من اليخت ، وثبَّت أسطوانة الأكسوجين خلف ظهره ، ثم غاص فى المياه الداكنة ، وأخذ يسبح فى الأعماق نحو اليخت ..

وفى نفس اللحظة هبط رجلان فى ثياب غوص مماثلة إلى الأعماق ، وراقبهما (سكارد) و (أرسطوس) ، وهما يغوصان ، ويحملان كيسين من البلاستيك القوى ، يضمَّان بداخلهما أعظم ثروة ماديَّة وتاريخية فى العالم .

ولمح (ممدوح) الكشَّافات الضوئية ، التى يحملها الغواصان ، ورآهما يحفران الأرض الرَّخوة فى الأعماق ؛ ليخفيا الكيسين ، فاقترب منهما فى حذر ، ولكنهما لمحاه بدوريهما ، واندفعا نحوه ، وأحدهما يستلّ سكِّينه ، واستدار (ممدوح) ، واختفى خلف إحدى الكتل الصخرية المرجانية الضخمة ..

ولم يكد أوّل الرجلين يصل إلى الكتلة الصخرية ، حتى برز (ممدوح) من خلفها فجأة ، وقبضت يده على معصم الرجل الممسك بالسكّين فى قوة ، ولوَى ذراعه خلف رأسه ، ثم دفع رأس الرجل ليرتطم بالكتلة الصخرية .. ولكن الرجل الآخر هاجم (ممدوح) من الخلف ، وأحاط عنقه بذراعه ، ثم انتزع من فمه خرطوم الأكسوجين .

وشعر (ممدوح) بالاختناق ، بعد أن فقد مصدر الهواء ، وخصمه يشلّ حركته بقوة من خلفه ، وازداد الموقف خطورة فجأة ، حينما تحوّل إليه الرجل الآخر ، منتهزًا فرصة شلّ زميله لحركته ، وتأهّب لإغماد سكّينة فى أمعائه ..

* * *



وقبضت يده على معصم الرجل الممسك بالسكّين فى قوة ، ولوَى ذراعه خلف رأسه ، ثم دفع الرجل ليرتطم بالكتلة الصخرية ..

٨ ــ صراع تحت الماء ..

كان الموقف بالغ الحساسية والخطورة ، وكان يحتاج إلى سرعة ومهارة وجرأة وشجاعة ..

وكان (ممدوح) يمتلك كل هذه الصفات ..

وبحركة سريعة حلَّ (ممدوح) ذلك الحزام الذى يحيط بصدره ، والذى يثبِّت أسطوانة الأكسوجين على ظهره ، وتلقَّى عليه طعنة السكِّين ، ثم دفع الأسطوانة المعدنية فى وجه الرجل ، على الرغم من مقاومة زميله ، فهشَّم بها زجاج منظار الغوص ، الذى يحيط بعينى الرجل ، واندفعت قطع الزجاج المحطَّم إلى عينى الرجل ووجهه ، فأصابته بجراح مؤلمة ، جعلته يترك السكِّين من يده ، والتقطها (ممدوح) بأصابعه فى مهارة ودقَّة ، ودفعها فى الذراع التى تحيط بعنقه ، ورأى المياه المحيطة به تصطبغ بلون الدم ، وشعر بالذراع تتراخى حول عنقه ، فانفلت منها بحركة مرنة سريعة ، وانتزع خرطوم الأكسوجين من فم الرجل ، الذى تحطَّم منظاره ، ووضعه فى فمه هو ، واستنشق

كمية ضخمة من الأكسوجين ، ملأ بها صدره ، وأعاد بها لخلاياه نشاطها وحيويَّتها .. ثم تحوَّل إلى الرجل الآخر ، الذى كان قد استلَّ سكِّينه بدوره ، وهمَّ بمهاجمته ، فأمسك جانبى رأسه بكل ما يملك من قوة ، ودفعها لترتطم بالصخور المرجانية ، وتظاهر الرجل بفقدان الوعى .. ولكن (ممدوح) لم يكد يُوليه ظهره ، حتى انقضّ عليه مرَّة أخرى ، وحاول طعنه بسكِّينه فى ظهره ، ولكن (ممدوح) شعر بمحاولته ، فدار حول نفسه ، وضرب الرجل فى ساقه بقوة ، جعلت الرجل يدور حول نفسه فى ألم ، والْتوت قبضته الممسكة بالسكِّين ، وارتطم بالكتلة الصخرية المرجانية ، ودفع ثقل جسده نصل سكِّينه لينغرز حتى مقبضه فى صدره ..

وانتزع (ممدوح) أسطوانة الأكسوجين من الرجل الصريع ، وثبَّتها فوق ظهره ، وعاد يتنفَّس من جديد فى لهفة ، وتحوَّل للبحث عن الرجل الآخر ، ولكنه كان قد سارع بالفرار ، فتجاهله (ممدوح) ، وحصر اهتمامه فى الكيسين ، وانتزعهما من مكانهما ، ولم يكد يفتح أحدهما ، حتى امتلأت نفسه بالارتياح ، فقد كان الكيس يمتلئ بالذهب والحُلِىّ والمجوهرات .

لقد استعاد الكنز المفقود .

* * *

سبح (ممدوح) تحت الماء ، ساحبًا الكيسين خلفه ، وقد خفَّف الماء من ثقلهما ، إلى أن طفا بهما بالقرب من زورقه البخارى ، فبذل جهدًا كبيرًا ليرفعهما إلى الزَّورق ، ثم ألقى جسده داخله . وأخذ يلهث من فرط الجهد ، حتى التقط أنفاسه ، ثم بدأ يخلع ثياب الغوص ، ويستعد لإدارة محرِّك الزَّورق ، والانطلاق به مبتعدًا ..

ولكن (ممدوح) كشف فجأة أن لحظة التهنئة بالفوز لم تحن بعد ، فلقد بلغ اليخت ذلك الضفدع البشرى ، الذى فرَّ من قتال الأعماق . وأبلغ من فيه بما حدث ، فقفز (سكارد) و (أرسطوس) . وأحد أعوانهما إلى الهليكوبتر الرابضة فوق سطح اليخت . والتى انطلقت على الفور لمطاردة (ممدوح) وزورقه البخارىّ .. ولم تمض لحظات حتى حلَّقت الهليوكوبتر فوق الزَّورق البخارىّ . وأخذ (أرسطوس) والقنَّاص المصاحب له يمطران الزَّورق البخارىّ برصاص مدفعيهما الآليَّين ، فى حين أخذ (سكارد) يتابع ما يحدث فى اهتمام بمنظاره المقرِّب .

ووجد (ممدوح) الحلقة تحيط به فى قوة وإحكام ففجَّر

أحد الأقراص الدموية ، التى يحتفظ بها فى حزامه ، بحركة خفيَّة سريعة ، وألقى جسده على أرض الزَّورق ، بحيث بدا لمراقبيه وكأن الرصاصات قد أصابته ، وأردته قتيلًا .

ولقد أفلحت مناورته ، فرفع (سكارد) منظاره المقرِّب عن عينيه ، وهو يقول لـ (أرسطوس) :

— اهبط لتأتى بالكيسين .

هبط (أرسطوس) من الهليوكوبتر على سُلَّم من الحبال ، وقفز إلى سطح الزَّورق البخارىّ ، ولم يكد يستقر فوقه حتى أدلى له الرجل الآخر بحبل آخر ، ينتهى بخطاف قوىّ ، يمكنه رفع الكيسين إلى الهليوكوبتر ..

ولم يكد (أرسطوس) ينحنى لالتقاط الكيسين ، وتثبيتهما فى الخطاف ، حتى تحرَّك (ممدوح) فى سرعة ، فدفع (أرسطوس) بقدمه ، وجعله يسقط إلى جواره على أرض الزورق ، ثم أطبق على عنقه بقبضة فولاذية ، وألْصق فوَّهة مسدَّسه بجمجمته ، وهو يصرخ مطالبًا ركَّاب الهليوكوبتر بالابتعاد ، وإلَّا أطلق الرصاص على رأس (أرسطوس) ..

ورأى (سكارد) ما حدث من خلال منظاره المقرَّب ، وأدرك ما الذى يعنيه (ممدوح) ، على الرغم من أن هدير

الهليوكوبتر لم يسمح لصوت (ممدوح) ببلوغ أذنيه ، فعضّ على شفتيه فى حَنَق ، وهو يقول :

ــ هل يظن ذلك الغبىّ أننى سأتخلّى عن الكنز مقابل حياة (أرسطوس) ؟.. فليذهب (أرسطوس) إلى الجحيم .

ثم التفت إلى القنّاص الجالس إلى جواره ، وقال فى حزم وصرامة :

ــ أطلق النار عليهما .

ارتسمت الدهشة على وجه القنّاص ، وغمغم فى تردُّد :

ــ ولكن أيها الزعيم .. إن (أرسطوس) ....

قاطعه (سكارد) فى حِدَّة :

ــ ألم تسمع ما أمرتك به ؟

هزَّ القنّاص كتفيه ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، ثم صوَّب بندقيته الآلية نحو (ممدوح) و (أرسطوس) ، وبكل هدوء .. أطلق النار ..

* * *

أدرك (أرسطوس) فى تلك اللحظة أن (سكارد) لا يعبأ بموته ، ولكن إدراكه هذا لم يستغرق أكثر من ثانية واحدة .. فلم يكد يرفع ذراعيه ضارعًا متوسِّلا ، حتى اخترقت الرصاصات

صدره ، وأردته قتيلًا ، وأدرك (ممدوح) فى اللحظة نفسها أن مصيره لن يختلف كثيرًا ..

وفى نفس اللحظة التى هوَى فيها جسد (أرسطوس) ، المضرج بدمائه ، فى الماء ، قفز (ممدوح) ، وتعلّق بالخطاف المدَلَّى من الهليوكوبتر ، وأخذ يتأرجح به فى قوة ، مما جعل مهمة القنّاص فى إصابته ضربًا من المستحيل ..

ولكن (سكارد) أدار آلة الرفع الهيدروليكية ، التى أخذت تجذب الحبل والخطّاف إلى الهليوكوبتر ، مما قلّل من قوة تأرجحه ، وقرَّب المسافة بينه وبين القنّاص ، الذى انتظر اللحظة المناسبة لقتله ، والموت يقترب من (ممدوح) مع اقتراب جسده من جسم الهليوكوبتر ..

وفجأة .. وبحركة بهلوانية مدهشة ، تفُوق أخطر الحركات التى يقوم بها محترفو السِّيرك ، تخلّى (ممدوح) عن الخطّاف ، وقفز ليتعلّق بعجلات الهليوكوبتر ، وتشبَّث بإحداها ؛ ليختفى أسفل الهليوكوبتر ، ثم أخرج من حزامه قنبلة إليكترونية صغيرة ، حرَّك مؤشرها بأسنانه ، ليعدّها للعمل ، ثم نزع عنها شريطًا لاصقًا صغيرًا ، وثبَّتها بواسطة مغناطيس قوىّ أسفل الهليوكوبتر ، ثم قفز ليغوص فى أعماق المحيط ..



تخلى (ممدوح) عن الخطَّاف وقفز ليتعلَّق بعجلات الهليوكوبتر ، وتشبث بإحداها ..

وهتف (سكارد) ، حينما لمح الرَّذاذ المتطاير من ارتطام جسد (ممدوح) بسطح الماء :

ــ أحكِم التصويب هذه المرَّة .. أريد منك أن تفجِّر رأسه حينما يطفو على السطح ، إنه لن يبقى فى الأعماق إلى الأبد ..

ولكن (ممدوح) ظلَّ تحت الماء طويلًا ، وهو يقاوم الصعود إلى السطح ، مما زاد من توتُّر (سكارد) ، وهو يقول للقنَّاص :

ــ هيَّا .. لابدَّ أن ننتهى من هذا الأمر سريعًا ، قبل أن يكتظ المكان برجال الأمن ، فنعجز عن استرداد الكنز .

وهنا طفا رأس (ممدوح) على السطح ، بعد أن عجز عن الاستمرار فى البقاء تحت الماء ، فضمَّ القنَّاص مؤخرة بندقيته إلى كتفه ، وقال وهو يصوِّب فوَّهتها إلى رأس (ممدوح) :

ــ ها هو ذا .

وقبل أن يضغط زناد بندقيته الآلية ، وصل مؤشر القنبلة الإليكترونية إلى نقطة الصفر ، وانفجرت الهليوكوبتر فى قوة ، وتناثرت بمن فيها وما فيها أشلاءً وشظايا ، تساقطت فى الماء حول (ممدوح) ، الذى قفز إلى زورقه البخارىّ ، وانطلق به مبتعدًا .

لقد تخلَّص من أعتى خصومه وأشرسهم .

* * *

٩ ــ اليد الخفية ..

أوقف (ممدوح) زورقه البخارىّ بالقرب من ساحل مهجور ، وجذب كيسَي الكنز ، وألقاهما على الشاطئ ، وأخفى الزورق بين الأشجار ، ووقف يتطلّع إلى ساعته فى قلق ..

ولم تمض لحظات ، حتى تناهى إلى مسامعه صوت سيارة تقترب ، ثم لم تلبث أن لاحت له سيارة من نوع (لاندروفر) ، المجهزة للسير فى الطرق الوعرة ، واقتربت منه السيارة ، وتوقّفت أمامه ، وقفز منها (نوبل) ، الذى تعلّقت عيناه بالكيسين ، وهو يقول فى شغف :

ــ ما الذى تحويه هذه الأكياس ؟

جذب (ممدوح) أحد الكيسين إلى السيارة ، وهو يقول :

ــ إنهما كيسان فحسب يا (نوبل) ، وهما لا يحويان القواقع والأصداف البحرية بالطبع ، وعليك أن تعاوننى فى حملهما إلى السيارة ، فلقد تأخّرت عن موعدك المتفق عليه .

انقض (نوبل) على أحد الكيسين فى لهفة ، وحَلَّه بأصابع مرتجفة ، ولم يلبث بريق الذهب والماس أن غشّى بصره ، فتسمّر مبهورا ، وهتف مشدوهًا :

ــ يا إلٰهى !!.. لقد فعلتها !.. لم أكن أصدّق حتى هذه اللحظة أنك ستنجح ، وتحوز الكنز .

قال (ممدوح) فى صرامة ، وهو يستحثه على الإسراع بنقل الكيسين إلى السيارة :

ــ هلّا أجّلت انبهارك لما بعد .. علينا أن نسرع بإخفاء هذا الكنز فى المكان الأمين ، الذى وعدتنى بتوفيره ، ثم نتصل بالسفارة المصرية لتأمين إعادته إلى (القاهرة) ، فالمخاطر لم تنته بعد .

أسرع (نوبل) يعاون (ممدوح) على نقل الكيسين إلى السيارة ، ثم قفز خلف عجلة القيادة .. ولم يكد (ممدوح) يجلس إلى جواره ، حتى انطلق بالسيارة عَبْر طريق ترابى غير ممهّد ، وسط أشجار كثيفة متشابكة ، حتى توقّف أمام كوخ خشبىّ فى بقعة مهجورة ، وقال :

ــ ها هو ذا المخبأ الأمين ، الذى سنخفى فيه الكنز .

هتف (ممدوح) فى مزيج من الاستنكار والدهشة :

— فى هذا الكوخ الخشبىّ ؟!

نوبل :

— القِ نظرة على داخله أوّلًا ، قبل أن تحكم على مظهره الخارجى ، وستجد أنه يفى بالغرض .

هبط (ممدوح) معه من السيارة ، وفتح (نوبل) القفل المثبَّت على باب الكوخ ، ودفع الباب قائلًا :

— انظر بنفسك .

ألقى (ممدوح) نظرة سريعة على داخل الكوخ ، فلم يلمح سوى أخشاب الكوخ ، وكميَّات هائلة من الأتربة على أرضيته ، وبدا له أنه لا يصلح حتى لإخفاء كتلة من الحديد الصدئ . فالتفت الى (نوبل) . قائلا فى استنكار :

— انه أسوأ مخبإ رأيته فى حياتى كلها .. إنه لا يصلح حتى لـ ....

وانقطعت عبارته فجأة ، حينما رأى مسدَس (نوبل) المصوَّب إلى صدره ، وسمع هذا الأخير يقول فى سخرية :

— ولكنه يصلح كمقبرة مناسبة .. أليس كذلك ؟..

* * *

عقد (ممدوح) ذراعيه أمام صدره ، وهو يقول فى برود :

— ها هو ذا ملاكى الحارس قد انقلب إلى شيطان كما توقَّعت ، فلم تعُد تكفيه نسبة الخمسة والعشرين فى المائة .

أطلق (نوبل) ضحكة ساخرة قصيرة ، وهو يقول :

— إننى أفضِّل نسبة المائة فى المائة يا صديقى ، ولن يكلِّفنى ذلك سوى رصاصة أطلقها على رأسك ، ثم أحيط صورتك بإطار أسود أنيق ، وأضعها إلى جوار صور القتلى الآخرين ، (كلاوس) ، و (أرسطوس) ، و (سكارد) ، ولا يتبقى أمامى سوى شخص واحد ، لو تخلَّصت منه فسيصبح الكنز كله ملكًا خالصًا لى .

تطلَّع (ممدوح) إلى عينيه ، محاولًا تحطيم أعصابه ، وهو يقول فى برود :

— أنت تعلم جيِّدًا أنك جبان رِعْدِيد ، ولن يجرؤ على إطلاق هذه الرصاصة .

داعب (نوبل) زناد مسدَّسه بسبَّابته ، وهو يقول :

— سترى بنفسك الآن ، كم أكسبنى بريق الكنز من شجاعة وجُرأة .

وفجأة .. تحرَّك (ممدوح) ، وركل كومة من التراب ، الذى يغمر أرضية الكوخ ، فى وجه (نوبل) ، فأغشى التراب

عينى هذا الأخير ، وطاشت رصاصته ، لتمرق إلى جوار كتف (ممدوح) ، الذى قفز فى مهارة ، ليسدِّد ركلة قويَّة إلى صدر خصمه ، جعلته يترنَّح ، ويتراجع إلى الخلف ، وقد تولَّاه الارتباك ، إزاء انقضاضة (ممدوح) المفاجئة ، فأخذ يطلق رصاصاته فى كل الاتجاهات ، وقد أعجزه التراب الذى يملأ عينيه عن التصويب ..

وفجأة .. شعر (نوبل) بقبضة (ممدوح) تحيط بمعصمه ، وبذراعه تُلْوَى خلف ظهره فى قوَّة ، فتأوَّه فى ألم ، وترك مسدَّسه يسقط من يده ، فى نفس اللحظة التى أصابته فيها لكمة قويَّة ، جعلته يرتطم بجدار الكوخ الخشبىّ ، ولامست يده قائمًا خشبيًّا يرتكن إلى الجدار ، فالتقطه فى حركة سريعة ، واستدار يواجه (ممدوح) ، وقد عاوده الأمل فى الفوز ..

ولكن (ممدوح) تفادى ضربة القائم الخشبىّ فى مهارة ، وسدَّد إلى خصمه ضربة قويَّة فى معدته ، انحنى لها (نوبل) ، ولكن هذا لم يمنعه من أن يهوِى بالقائم على ساق (ممدوح) فى قوَّة ، جعلت هذا الأخير يسقط أرضًا فى ألم .. وانتهز (نوبل) الفرصة ، فرفع القائم الخشبىّ بكلتا يديه ، ليهوِى به بأقصى ما يملك من قوَّة على رأس (ممدوح) ..

ودحرج (ممدوح) جسده ، ليتفادى الضَّربة القويَّة ، التى دوَّت فى الكوخ كقنبلة مكتومة .. واعتدل (نوبل) محاولًا تكرار محاولته ، إلّا أن (ممدوح) ركل ساقه فى قوَّة ، فأسقطه أرضًا بدوره ، وانقضّ عليه يحاول انتزاع القائم الخشبىّ من يده ، ولكن (نوبل) هوى على صدغه بضربة قويَّة من القائم الخشبىّ ، وعاجله بأخرى جعلته يسقط أرضًا ..

وجثم (نوبل) فوقه ، وهو يضغط بالقائم الخشبىّ على عنقه فى قوة ، شعر معها (ممدوح) بحنجرته تكاد تتهشَّم ..

وبينما انهمك الاثنان فى صراعهما ، تحرَّكت يد خفيَّة خارج الكوخ ، لتسكب عددًا من جالونات البنزين حوله ، وعلى جدرانه الخشبيَّة ، ثم أشعلت نفس اليد الخفيَّة عود ثقاب ، وألقت به على البنزين ..

واشتعلت النيران ..

* * *

كان (ممدوح) يجاهد ، لإبعاد القائم الخشبىّ عن عنقه ، وأخذ يدفعه بكلتا يديه فى قوة إلى أعلى ، محاولًا التغلُّب على قوة خصمه ، حتى نجح أخيرًا ، فى دفع ثقل غريمه عن صدره ، وإبعاد القائم عن عنقه ، مستجمعًا كل قواه ، ثم ثَنَى ركبتيه ،

ودفع قدميه فى صدر (نوبل) ، ورفعه عاليًا ، ليلقيه خلف ظهره ، وقفز واقفًا وقد فاز بالقائم الخشبىّ ..

وقفز (نوبل) واقفًا بدوره ، وبدا الموقف وقد تحوَّل إلى جانب (ممدوح) ، ولكن ....

تسمَّر الاثنان فجأة ، وتوقَّفا عن القتال ، حينما تناهى إلى مسامعهما صوت محرِّك سيارة (نوبل) ، التى تحمل الكنز ، وهو يدور فجأة ، واشتمَّ أنفاهما فى نفس اللحظة رائحة الدُّخان ، ثم تأجَّجت النيران فجأة داخل الكوخ ، وأحاطت بهما تمامًا ..

* * *



١٠ — سرّ الصورة ..

أُصيب (نوبل) بهلع هائل ، حينما رأى ألسنة اللهب تتراقص حوله ، فصرخ فى هستيريا :

— لا .. لا أريد أن أحترق هنا .

واندفع نحو باب الكوخ الخشبىّ ، ودفعه فى قوة ، محاولًا الفرار ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع بمزيد من الهلع ، حينما رأى ألسنة اللهب تسد طريقه ، وصرخ فيه (ممدوح) ، طالبًا منه التراجع ، إلَّا أن تحذيره جاء متأخرًا ، فقد انهار الباب الخشبىّ المشتعل فجأة فوق (نوبل) ، وزحفت نيرانه إلى ثيابه وجسده ، فتعالى صراخ (نوبل) ، وانطلق يعدُو كالمجنون ، وقد تحوَّل إلى كتلة من اللهب ، ثم لم يلبث أن هوى جثة هامدة متفحِّمة ..

واتسعت عينا (ممدوح) فى ذُعر ، وهو يتصوَّر نفسه يلقى المصير ذاته ، ثم دفع القائم الخشبىّ فى زجاج نافذة الكوخ ، فحطَّمه تمامًا ، ورأى النيران تتلظَّى خارج النافذة أيضًا ، ولكن



تراجع (ممدوح) بضع خطوات إلى الخلف ، ثم انطلق ليثب عَبْر النافذة المحطمة ، وشعر بلفح النيران حول جسده ..

لم يكن هناك مجال للخوف أو التمهل ؛ لذا فقد تراجع (ممدوح) بضع خطوات إلى الخلف ، ثم انطلق ليَثِب عَبْر النافذة المحطّمة ، وشعر بلفح النيران حول جسده ، ثم لم يلبث أن سقط وسط الأعشاب المحيطة بالكوخ ، وأخذ يتقلّب فى سرعة ، ليطفئ ما عَلِق بجسده من النيران ، ثم نهض واقفًا ، يلهث فى قوّة ، وهو لا يصدِّق أنه قد نجا من بَوْتقة الجحيم هذه ، وأن خسائره لم تتعد بضعة حروق سطحية ، وملابس محترقة .. ولكن خاطرًا قفز إلى رأسه فجأة ، جعل الغضب يتأجّج فى جسده ، بأكثر مما تفعل النيران ..

لقد خسر الكنز أيضًا ..

* * *

ارتدى (ممدوح) ثيابًا جديدة نظيفة ، ووقف يصفّف شعره فى حجرته بالفندق ، بعد أن حصل على حمام دافئ أعاد إليه حيويَّته ونشاطه ، فى حين جلس (رفعت) على مقعد مجاور له ، وعيناه تحملان الكثير من التساؤل والحرج .. فلقد كان يريد أن يسأل (ممدوح) عن الخطوة التالية ، بعد أن اختفى الكنز ، وضاع كل أثر يمكن أن يقود إليه من جديد ، وكان يشعر بالحرج من مفاتحة (ممدوح) بالأمر ، بعد أن بدا أن المهمة قد فشلت

هذه المرة ، حتى أن الإدارة قد أصدرت لهما أوامرها بالعودة خلال يومين على الأكثر ، مالم تلح أيَة خيوط أو عوامل جديدة تفيد القضيَة ..

وكانت حركات (ممدوح) تبدو بطيئة ، وكأنما يفسح لنفسه مجالًا للتفكير ، قبل أن يجلس فى مواجهة (رفعت) ، فقد كانت هناك جملة ما سمعتها أذناه ، وأيقن عقله أنها تحمل دلالة قوية ، ولكنه يعجز عن تذكُرها .. ولمَّا طال صمته وجد (رفعت) أنه لم يعُد يستطيع مجاراته فى هذا الصمت ، فاندفع يقول فى ضيق :

ــ أعتقد أنه لم يعُد أمامنا سوى التسليم ، بأن الكنز قد أفلت من بين أيدينا ، وأن مهمتنا قد فشلت .

تطلَّع إليه (ممدوح) فى شرود ، وظلَّ على صمته لحظات ، ثم قفز من مقعده فجأة ، وهو يهتف :

ــ وجدتها .

تطلَّع إليه (رفعت) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ ما هذه التى وجدتها ؟

ممدوح :

ــ الجملة التى كنت أبحث عنها .

ازدادت دهشة (رفعت) ، وهو يهتف :

ــ أيَة جملة ؟

ممدوح :

ــ جملة نطق بها (نوبل) ، وهو يصوِّب مسدَّسه إلىَّ فى الكوخ ،.. لقد قال : إنه بعد أن يتخلَّص منِّى سيتبقَّى أمامه شخص واحد ، لو نجح فى التخلُّص منه ، فسيصبح الكنز كله ملكًا له وحده ، وهذا يعنى أنه ــ ومنذ البداية ــ كان هناك شخص ما وراء كل هذا ، وهذا الشخص هو المحرِّك الحقيقى للأحداث ، وهو الذى كان يمسك بكل الخيوط .. شخص بخلاف (كلاوس) و (أرسطوس) و (سكارد) .. شخص مجهول ، كان أكثر غدرًا ودهاءً من الجميع ، ففاز بكل الغنيمة ، واختار اللحظة المناسبة ليشعل النار فى الكوخ ، ويتخلَّص من آخر ضحاياه .

رفعت :

ــ وهل يضيف ذلك إلينا شيئًا ؟

ممدوح :

ــ إنها المفتاح الذى سينقل مهمتنا من الفشل إلى النجاح يا صديقى .. فلقد كان هذا الشخص المجهول يعرف (نوبل)

جيِّدًا ، وكان هذا الأخير أيضًا يعرفه جيِّدًا ، ولا ريب أننى سأجد ما يرشدنى إليه فى منزل (نوبل) .

رفعت :

ـــ هل تنوى التسلُّل إلى منزل (نوبل) ؟

ممدوح :

ـــ نعم .. أريد أن أفتش كل ركن فى منزله ، قبل أن تكشف الشُّرطة مصرعه ، وتسبقنى إلى ذلك .

رفعت :

ـــ ولكنها عملية سرقة ، ولو ألقى رجال الشُّرطة القبض عليك لمحاولة السرقة ، واقتحام مسكن الغير ، فسيضع هذا سفارتنا فى موقف حرج و ....

قاطعه (ممدوح) ، قائلًا :

ـــ إنها ضريبة مهنتنا الشَّاقة يا صديقى .. لقد قرَّرت التسلُّل إلى منزل (نوبل) هذه الليلة ، وستعاوننى على ذلك ، دون أن نضيع الوقت فى مناقشة ما سيترتب على ذلك من متاعب .

لم يسع (رفعت) إزاء هذه اللهجة القاطعة ، إلَّا أن يقول فى لهجة رسمية :

ـــ كما تأمر يا سيادة المقدِّم ..

* * *

لم تكن هذه هى أوَّل مرَّة يلج فيها (ممدوح) منزل (نوبل) العتيق ، فلقد سبق له أن أقام به ، بعد أن أنقذه (نوبل) من مذبحة فيلا (كلاوس) ؛ لذا فلم يجد أيَّة صعوبة فى التسلُّل إليه ، مستعينًا بوسائله الخاصة .. وأخذ يفحص المكان ركنًا ركنًا ، مستعينًا بكشَّاف ضوئى صغير ، دون أن يتوصَّل إلى شىء ذى قيمة ، حتى انتهى به الأمر إلى حجرة مكتب فى نهاية الممرّ الطويل ، الذى يصل حجرات المنزل بعضها ببعض ، وهناك نجح بوسائله الخاصة أيضًا فى فتح أدراج المكتب الضخم ، الذى يقبع فى أحد الأركان ، ولكن كل ما عثر عليه داخلها من أوراق ووثائق بدا غير ذى أهميَّة بالنسبة لأمر هذا الشخص المجهول ، فأعادها (ممدوح) إلى الأدراج فى سخط ، والتقط ألبوم صور صغيرًا ، وأخذ يقلِّب صفحاته ، ويتأمَّل صوره فى سرعة ..

وفجأة .. توقَّفت عيناه عند صورة صغيرة قديمة ، أخذ يحدِّق فيها باهتمام بالغ ، وقد أخذ قلبه ينبض فى قوة ..

صورة تعود إلى عشر سنوات مضت ، بحسب التاريخ المدوَّن

عليها ، وتضمّ (نوبل) مع شخصين آخرين ، خلال رحلة بحرية ، وبدت ملامح أحد الرجلين مألوفة لعينى (ممدوح) ، وإن كانت الصورة التى يحملها فى ذاكرته تبدو أكبر سنًّا ، ولكنه بالتأكيد نفس الرجل ..

وأخذت ذاكرته تسترجع كل ما اختزنته من أسماء ووجوه فى سرعة ، حتى توقَّفت أمام اسم واحد ، ووجه واحد ، ووجد نفسه يهتف فى دهشة ، وبصوت مرتفع :

ــ يا إلٰهى !! .. إنه هو .. لقد عرفته .. إنه ....

أضيئت أنوار الحجرة كلها فجأة ، عند هذه النقطة ، وظهر على عتبتها رجل قصير الشعر ، ضعيف البنْية ، شاحب الوجه ، تبرز عظام وجنتيه على نحو واضح ، ويبدو فى الخامسة والخمسين من عمره تقريبًا ، وكان يصوِّب إلى (ممدوح) مسدَّسًا قويًّا ، مزوَّدًا بكاتم للصوت ، وهو يقول فى صوت قوىّ ، لا يتناسب مع مظهره :

ــ نعم .. هو أنا أيها المقدَّم .. أهنئك على ذاكرتك القويَّة .. إنها تمنحك الحقّ فى معرفة الحقيقة .. كل الحقيقة قبل أن تلقَى مصرعك ..

* * *

١١ ــ رجل وراء الستار ..

غمغم (ممدوح) وآثار المفاجأة لا تزال ترتسم على وجهه فى قوَّة وعنف :

ــ إذن فقد كنت أحد المتنافسين فى هذا السِّباق الإجرامىّ الدموىّ ، منذ البداية يا بروفسير (جوزيف ميللر) ؟

جلس (ميللر) على أحد مقاعد الحجرة ، وسلَّط مسدَّسه وعينيه إلى وجه (ممدوح) ، وهو يقول :

ــ كنت أستحق الفوز منذ البداية يا عزيزى ، لولا أن بريق الذهب أسال لُعاب كل مَنْ وثقت بهم منذ البداية ، وحرَّضهم على الغدر والخيانه ، فكل من سعى خلف هذا الكنز لم يهتم سوى بقيمته المادِّيَّة ، ومدى ما يمكن أن يحرزه من ثراء وقوَّة به ؛ لذلك لم يكن أحدهم يستحقه ، أما أنا فقد كنت أقدِّر القيمة التاريخية للكنز ، والتى لا تقدَّر بثمن ، فهى ثروة تتجاوز قيمته المادية بعشرات المرَّات ، لهذا فقط قرَّرت أن أضحى من أجله بكل شىء ، شرف المهنة ، الشهرة التى يحقِّقها لى عثورى عليه ..

تاريخى الطويل المشرِّف كواحد من علماء الآثار المعدودين فى العالم أجمع ..

قرَّرت أن أضحى بكل هذا! للاستحواذ على ذلك الكنز الأثرى الرائع ..

ثم تابع (ميللر) قائلًا :

ــ لقد ضممت (كلاوس) إلى بعثتى الأثرية فى مصر ، وأنا أعلم منذ البداية أنه رجل غير شريف ، ولكنه كان الرجل الذى يناسب خُطَّتى تمامًا ، واتفقت معه على أن أسدِّد كل ديونه ، وأمنحه فوق ذلك مبلغًا ضخمًا ، مقابل سرقة الكنز لحسابى ، فور العثور عليه .. ولم أكن أعلم أن ذلك الوغد قد عقد اتفاقًا مماثلًا مع زعيم (المافيا) ، ولا أنه ينوى نقض الاتفاقين ، والاستيلاء على الكنز لنفسه ، ولكننى كنت له بالمرصاد ، حينما اتخذ لنفسه شخصية (جيمس بريان) ، وفرَّ إلى (أستراليا) .. وكلَّفنى المخبر السرِّى ، الذى دلَّنى على مكانه ، ثروة ، ولكنه أفادنى كثيرًا ، فلقد عقدت اتفاقًا آخر مع صديق قديم لى ، وهو (نوبل) ، وجعلته يتجسَّس على (كلاوس) لحسابى ، بعد أن نجح فى كسب ثقته ، والعمل معه كسكرتير خاص ، وكل هدفى أن يعرف المكان الذى أخفى به

(كلاوس) الكنز ، فنستعيده ، ونتخلَّص من هذا الأخير ، ولكن (سكارد) سبقنا إلى الهدف ، ونجح فى الحُصُولِ على الكنز ، وكان على (نوبل) أن ينتقل إلى الخُطَّة الاحتياطية ، فأنقذك من مذبحة فيلا (كلاوس) ، وقرَّرنا استغلال كفاءاتك وخبرتك ؛ لانتزاع الكنز من بين أنياب (سكارد) ، ثم قتلك ، واستعادة الكنز .

ولكن (نوبل) أيضًا أراد خيانتى ، وأراد أن يستحوذ على الكنز كله ، بعد أن يتخلَّص منك .. ولكننى ــ ولسوء حظِّه ــ كنت قد وضعت هذا فى الاعتبار ، ولم يكن هو يدرى أن (دورا) ، تلك البدينة التى تعمل لديه كخادمة ، والتى ضمَّدت جراحك حينما جاء بك إلى هنا ، تعمل لحسابى منذ البداية ، وأنها الوحيدة التى حافظت على إخلاصها لى ، ونقلت إلىَّ خُطَّته كلها ..

أدار (ممدوح) كفَّيه خلف ظهره ، وارتكن بهما على حافة المكتب من الخلف ، وهو يقول :

ــ لذا قرَّرت أن تتخلَّص منه ومنِّى بحريق مدبَّر ، ثم تفوز بالكنز وحدك .

نهض (ميللر) من مقعده ، واقترب ليقف على بعد خطوات

من (ممدوح) ، وتألّق الإصرار والعزم فى عينيه ، وهو يصوِّب مسدَّسه إليه ، قائلًا :

ـــ لقد حصلت عليه يا عزيزى ، ولن يسلبه منِّى أحد بعد الآن .. إنه الآن على متن طائرتى الخاصة ، التى سترحل إلى (ألمانيا) بعد ساعات .. ولسوء حظِّك أننى قد جئت إلى هنا ؛ لاسترداد هذه الصورة بالذات ، التى لو لم ترها لكان من الممكن أن تظل حيًّا ، ولكننى مضطر الآن للتخلُّص منك ، كما سأتخلَّص من الصورة ، ومن كل ما يمكن أن يشير إلى علاقتى بـ (نوبل) ، أو بحادث اختفاء الكنز .. فينبغى أن يظل هذا السِّرّ خفيًّا إلى الأبد .. وبما أنك الشخص الوحيد الذى يعلم السرَّ ، فلا مناص من التخلُّص منك .

حرَّك (ميللر) سبَّابته فوق الزِّناد ، ولكن (ممدوح) بادره قائلًا :

ـــ هل تعتقد حقًّا أننى الشخص الوحيد الذى يعلم هذا السِّر ؟ .. ألا يحتمل أنه يقف خلفك الآن رجل آخر ، يشاركنا هذا السِّرّ ؟

ابتسم (ميللر) ، قائلًا :

ـــ حيلة قديمة وساذجة أيها المقدَّم .

ولكن أطراف (ميللر) تجمَّدت فجأة ، حينما انبعث من خلفه صوت هادئ يقول :

ـــ بل احتياط ضرورىّ يا بروفسير (ميللر) .. لقد تسلَّلت إلى المنزل منذ عدة لحظات ، وسمعت جزءًا من هذا الحوار ، وهو يكفى لأن أصبح شاهد الإثبات الثانى فى القضية .

رنا (ميللر) بنظره إلى مصدر الصوت ، فرأى (رفعت) على بعد خطوات منه ، وهو يصوِّب إليه مسدَّسه ، وسمعه يقول بلهجة آمرة :

ـــ والآن .. ألقِ مسدَّسك فى بطء وهدوء ، وتذكَّر جيِّدًا أننى وزميلى محترفان ، ولو أنك فكَّرت مجرَّد تفكير فى إطلاق مسدَّسك ، فستكون رصاصتى أسبق إلى رأسك من أفكارك ذاتها و ....

وقبل أن يتم (رفعت) عبارته ، أحاط به فجأة ذراعان قويَّان ، وشلَّا حركته تمامًا ، وفى سرعة مذهلة انتزعت قبضة قوية مسدَّسه من يده ، وألقت به بعيدًا ، ثم وجد جسده يرتفع عن الأرض ، ويتطوَّح يُمْنةً ويُسْرة فى قوَّة ، وبحركات متقنة ..

واتسعت عينا (ممدوح) فى دهشة شديدة ، فلم يكن صاحب الذراعين القويّين سوى (دورا) .. تلك المرأة البدينة ..

* * *

ابتسم (ميللر) ، وهو يداعب زناد مسدَّسه ، قائلًا لـ (ممدوح) :

ــ أنا أيضًا أتخذ الاحتياطات الضرورية .. لقد نسيت أن أخبرك أن (دورا) تمتلك ميزة أخرى ، إلى جوار إخلاصها ، فهى ذات مواهب متعدِّدة ومفيدة ، إذ تجيد مختلف فنون المصارعة اليابانية ، والكاراتيه ، والجودو ، ولن تجد صعوبة فى تخليصنا من الشاهد الثانى .

تطلَّع (ممدوح) إلى الصراع الدائر بين (رفعت) والمرأة ، وهو يقول :

ــ أشك فى ذلك يا بروفسير ، فصديقى أيضًا يجيد كل هذه الفنون القتالية ، وها هو ذا الموقف ينقلب لصالحه ، بعد أن تخلَّص من وقع المفاجأة .

التفت (ميللر) نحو المتصارعين فى حركة حادَّة ، وقد أدهشه قول (ممدوح) ، الذى انتهز هذه الفرصة ، وانقضَّ

على خصمه فى قوَّة ، وقبض على معصمه بقبضته ، وعلى الذراع نفسها بقبضته الأخرى ، ثم حمل الرجل بحركة بارعة ، جعلت فوَّهة المسدَّس مصوَّبة إلى الحائط ، وألقى به ليرتطم بجدار الحجرة خلف المكتب تمامًا ، ثم انتزع أحد أدراج المكتب ، وهوَى به على يد (ميللر) ، فأطاح بالمسدَّس من بين أصابعه ، وهوَى على وجهه بالدُّرج ، فألقاه أرضًا ، بعيدًا عن مسدَّسه ، ثم ألقى الدُّرج بعيدًا ، وانقض على (ميللر) ليهوِى على وجهه بلكمات قويَّة ، أفقدته وعيه ، والتفت إلى رفيقه (رفعت) ، ورآه ينهى معركته مع (دورا) لصالحه ، فابتسم وهو يقول :

ــ حمدًا لله .. لقد تصوَّرت لحظة أنها ستهزمك .

أخذ (رفعت) يعدِّل ثيابه ، وهو يقول :

ــ كنت سأتقدَّم باستقالتى ، على الرغم من أن هذا الشىء لا يسمى بالمرأة ، بل هى أنثى نَمِر شرسة .

استعاد (ممدوح) لهجته الجادة ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. عليك أن توثق هذه الأنثى المتوحشة ، وذلك الثعلب الماكر ، حتى أتصل بسفارتنا فى (سيدنى) ، حتى يبدأ الاتصال بين الحكومتين ، المصرية والأسترالية ، لإجراء

ثم انتزع أحد أدراج المكتب ، وهوَى به على يد (ميللر) ، فأطاح بالمسدَّس من بين أصابعه ..

الترتيبات اللازمة لتفتيش طائرة (ميللر) ، واستعادة الكنز ، وإعادته إلى (القاهرة) ..

ابتسم (رفعت) ، ورفع يده بالتحيَّة العسكريَّة ، وهو يقول مداعبًا :

ــ عُلم ، وسينفَّذ .

ثم أردف فى ارتياح :

ــ إن الكنز المفقود لم يعد مفقودًا .. لقد عاد إلى وطنه الأوَّل ..





١٢ ـ إجازة تحت الرمال ..

كان يومًا شديد الحرارة ، من أيام شهر أغسطس ، عندما أخذ (رفعت) يتنقَّل بين صفوف المصطافين على شاطئ (العجمى) ، بحثًا عن زميله (ممدوح) ، ولم يحتج الأمر لبذل الكثير من الجهد هذه المرَّة ، كما حدث سابقًا .. فلم يكد (رفعت) يلمح تلك القبَّعة القديمة فوق الرمال ، حتى اتجه إليها ، ورفعها وهو يقول فى ثقة :

ـ كنت أعلم أننى سأجدك مسترخيًا تحت الرمال و ....

ارتسم مزيج من المفاجأة والحرج على وجهه ، حينما طالعه وجه رجل آخر ، يحمل الكثير من الدهشة والغضب ، والتساؤل عمَّن يكون ذلك الثقيل ، الذى قطع عليه لحظات استرخائه ، فأعاد (رفعت) القبَّعة ، وهو يغمغم فى ارتباك :

ـ معذرة يا سيِّدى .. خِلْتُك رجلًا آخر ..

تراجع (رفعت) فى ارتباك وتلعثم ، ولكنه سمع فجأة صوتًا مألوفًا ، يأتى من خلفه ، قائلًا :

ـ هل يمكننى مساعدتك يا زميلى العزيز ؟

التفت (رفعت) إلى مصدر الصوت ، وعقد حاجبيه وهو يرى يدًا ترتفع من وسط الرمال ، وتزيح صحيفة بدت وكأنها ملقاة فى إهمال فوق الرمال ، ليبدو من تحتها وجه (ممدوح) الضاحك ، وهو يقول :

ـ من الضرورى أن يبدِّل المرء أساليبه فى التخفِّى .. أليس هذا ما تعلَّمناه يا صديقى ؟

زفر (رفعت) فى قوة ، وقال :

ـ يبدو أنك ستظلّ متفوِّقًا دومًا ، حتى فى دعاباتك .. لن يمكننى مفاجأتك قط .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ـ لا حياة مع اليأس يا صديقى .

رفعت :

ـ جئت لأخبرك أننى ..

قاطعه (ممدوح) ، وهو ينهض ، وينفض الرمال الملتصقة بجسده ، قائلًا :

ـ لا تكمل .. لقد حفظت ذلك الجزء .. لقد أرسلك اللواء (مراد) ؛ لاستدعائى ، نظرًا لوجود مهمة عاجلة و ....

اعترض (رفعت) ، قائلًا :

ـ من قال هذا ؟

تطلَّع إليه (ممدوح) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ أليس هذا ما أتيت من أجله ؟!

ضحك (رفعت) ، وهو يقول :

ـــ لا بالطبع .. لقد جئت إلى هنا لأن إجازتى قد بدأت أمس .

ثم خلع ثيابه فى سرعة ، وبقى فى ثوب الاستحمام ، وهو يستطرد فى مرح :

ـــ هيًا .. أفسح لى مكانًا إلى جوارك يا صديقى .. لقد قرَّرت أن أجرِّب طريقتك فى الاسترخاء تحت الرمال .

وفى هدوء ، تمدَّد الاثنان تحت أشعة الشمس ، والرمال الدافئة ، ومضت لحظة من الصمت ، قبل أن يغمغم (رفعت) :

ـــ أعتقد أن هذا الوضع يجعلنا نشبهه تمامًا .

سأله (ممدوح) فى هدوء :

ـــ ما هو ؟

ضحك (رفعت) وهو يقول :

ـــ الكنز .. (الكنز المفقود) .

ثم أغرق كلاهما فى الضحك ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦٢٠

المؤلف



ا . شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي

الكنز المفقود

دفع (ممدوح) الأسطوانة المعدنية فى وجه الرجل ، وهشَّم بها زجاج منظار الغوص ، الذى يحيط بوجهه ، واندفعت قطع الزجاج المحطَّم إلى عينى الرجل ووجهه ، فأصابته بجراح مؤلمة ، جعلت سكِّينه يفلت منه .. فالتقطها (ممدوح) بأصابعه فى مهارة ، ودفع نصلها فى الذراع التى تحيط بعنقه فى قوة ..

٣٤

العدد القادم

اللعنة السوداء

فى سائر
الدول
العربية
والعالم